عقوبات العرب في جاهليتها
وحدود المعاصي التي يرتكبها بعضهم

للعلامة السيد محمود شكري الآلوسي

حققه وشرحه

الأستاذ : محمد بهجة الاثري / عضو المجمع



فرزة من : مجلة المجمع العلمي العراقي

الجزء الثاني ـ المجلد الخامس والثلاثين

رجب ١٤٠٤ هـ
نيسان ١٩٨٤ م

عقوبات العرب في جاهليتها وحدود المعاصي التي يرتكبها بعضهم

للعلامة السيد محمود شكري الألوسيّ

حققه وشرحه

الأستاذ : محمد بهجة الاثري/ عضو المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

الثواب والعقاب قانونان متلازمان ولازمان لحفظ المجتمع البشريّ ، وبعث طمأنينته ، وضمان استقراره ، واطّراد نمائه وازدهاره .

واذا كان التزامُ الجماعات والأفراد حدودَ الشرائع وما يتفرّع منها من قوانين ونُظُم عادلة ، وإحسانُهم الأعمالَ ، وأداؤُهم الحقوق ، وحسنُ رعايتهم للواجبات : كلّ أولئك مما يحقّق بناء المجتمع الفاضل — فإنّ تعدّي هذه الحدود بابتعاث الفوضى ، والإخلال بالأمن ، واجتراح المنكرات ، يمهّد لتداعي هذا البناء والإتيان عليه من قواعده ؛ إذْ كانت هذه المنهيّات مفاتيح للشرّ والفساد . ومغاليقَ للخير والصلاح ، ولا يقوم مجتمع فاضل باستشراء الجرائم فيه : تعبث وتعيث في أحشائه من غير وازع من دينٍ أو ضمير ، ولا رادع من سلطان عادل قوي أمين .

ومن هنا ، شغلت الجريمة مُذْ تكوُّن المجتمعات الأولى الى عصرنا الراهن —

أذهانَ الرؤساء المهيمنين على مصالح مجتمعاتهم ، وابتعثتِ المفكّرين إلى خلق الوسائل التي تستأصلها ، أو تَرْدَعُها وتكفكف طَغْواها ، فابتدعوا أنواعاً من العقوبات الرادعة للمجرمين : من قَتَلَة ، وقطّاع طرق ، ولصوص ، وزُناة ، ولاطة ، وخَوَنَة ، وجواسيس ، . . حفظاً لحياة الآخرين ، وتسكيناً لمن تَرُوعُهم الجريمة ، وبعثاً للطمأنينة الى النفوس بأن هناك عيوناً ساهرة ترعى لها أمنها ، وتحفظ سلامتها . فتستقرّ وتهدأ ، وتمضي في أعمالها قُدُماً لتحقق رخاءها ورخاء المجتمع ونماءه وازدهاره .

وكما عَرَفَتِ الأمم والشعوب ضروباً من التشريع لقمع الجرائم : عَرَفَ المجتمع العربي قبل الإسلام بأزمان متطاولة عقوباتٍ شتّى . إصطلح الناس عليها ، وأقَرُّوها بالعُرْف ، وتوارث سُنَنَها الخَلَفُ عن السَّلَف ، حيث الحضارةُ في المدن ، وحيث البداوةُ والمجامع القبيلية[1] الرَّحّالة أو المستقرّة بعضَ الاستقرار . ولم تكن لهؤلاء دولة جامعة ، وإنما كان لهم ما نسميه اليوم « مَشيخات » ، إلى أن جاء (الإسلام) ، فوحدتهم دولته بتشريعها الإلهيّ العادل الرحيم الحكيم ، وقد أَلْغَى من أحكامهم ما أَلْغَى لفساده وضرره ، وأَقَرّ منها ما أَقَرّ لصلاحه ونفعه ، وقام على أساسه الرصين بناءُ المجتمع الفاضل في جزيرة العرب وحيث امْتَدّ سلطانه وأشرقت شمسه .

ولكن ما أنواع العقوبات عند العرب قبل الإسلام ، وما حدود المعاصي التي كان يقترفها بعضهم ، ويخرج بها على العُرْف ؟

هذا ما حاولت دراسة شيخنا الأكبر العلامة الشهير السيد محمود شكري

(١) ياء «فَعِيلَة» تبقى عند النسب اذا كان اللفظ اسم جنس يدل على التعدد والكثرة ، وتحذف اذا كان علماً ، الا لعلة تقتضيها ، فتبقى ، فيقال مثلا : تميمي ، ولا يقال : تممي . ذكرت هذا لاضطرابه في الأذهان وتخبط الأكثرين فيه .

الألوسي ، رحمه الله — التي أضعها تحت أنظار قراء العربية — أن تيَسَّرَ معرفتَه ، فمادّتُها نزرة في الآثار والكتب ، ومنتشرة في تفاسير القرآن الكريم وشروح الحديث الشريف ، وشروح أشعار الشعراء الجاهليين ، وليس من السهل على طالبها الإمعان في البحث عنها . . وقد لَمّت هذه الدراسة الطريفة المفيدة الممتعة أطرافاً منها ، ولست أعرف في موضوعها دراسة مستقلة غيرها ، وإن كانت جملتها لم تبلغ غاية المدى أو الشوط الأبعد . ولهـذا أسباب عدّة . وحَسْبُها أنّها فتحت الباب لِوُلُوجه ، وعبّدَت الطريق لسلوك جَدَدِه ، وعلى الخلف متابعة مجهود السلف وبناء الصَّرْح فوق الصَّرْح .

وقد خص العلامة الألُوسيّ ، رحمه الله ، بهذه الدراسة : « العقوبات عند عرب الحجاز ونجد وأضرابهم ، لا عرب جميع أنحاء الجزيرة ، فهؤلاء كانت لهم أحكام خاصة متوارثة ، وهي التي أراد بحثها ووقف جهده عليها في دراسته هذه ، وترك ما كان عند عرب اليمن وعرب الشام والعراق من العقوبات » ، ذلك أنّ : « عرب اليمن كان منهم يهود ونصارى ، ومنهم غير ذلك . وكذلك عرب الشام والعراق كانوا على نِحَل شتّى » . فالعقوبات عند هؤلاء ، غير العقوبات عند من خصهم بالذكر على نحوٍ مّا من الأنحاء التي تقضي بها الشرائع والنِّحلَ .

وقد سمى العلامة الألوسي ، رحمه الله ، دراسته هذه :

« عقوبات العرب في جاهليتها وحدود المعاصي التي يرتكبها بعضهم »

وبدأها بالكلام على « الحدّ » في عُرْف العلماء ، وماقيل في وجوب الحدّ به ، ثم ذكر معناه في العربية ، وإطلاقه في الشرع الإسلاميّ ؛ وأتمّ من العقوبات عند عرب الجاهلية بتسعة ، لا قصراً وحصراً ، ولكن بالمقدار الذي تيَسَّرَ له فوقف عنده ، وهي :

١– قطع يد السارق ، وبها نزل القرآن الكريم .
٢– قتل الزاني ، وقد كان الزِّنى عندهم من أعظم المنكرات .
٣– القِصاص ، وقد جاء به القرآن على تفصيل لم يكن في الجاهلية .
٤– إعطاء دية القتيل .
٥– دِيَةُ الملوك اذا قُتِلوا (ويليه كلام على التّعقية) .
٦– العاقلة ، وهم العَصَبَة أي القرابة من قِبَلِ الأب الذين يعطون دِيَةَ قتل الخطأ .
٧– الأسير ، وما كان يعامل به ، وفداؤه .
٨– عقاب مَنْ هجا من الشعراء .
٩– جزّ ناصية الرجل الشريف المأسور إذا أطلقوه ، يستبقونها عندهم ليفخروا بها .

وعند هذه العقوبة وقفت الدراسة ، وثَمَّ عقوبات أُخَر استدركتُ منها ما علمته ، وأفردتها في كتاب في آخر الدراسة . والاستقصاء يتطلب زمناً مديداً ، ومجهوداً كبيراً ، لا أملِك الآن منهما أكثر ممّا أتاحاها لي ، الى جانب ما أفضتُهُ على الدراسة من التحقيق والتعليق .

وهذه الدراسة في معظمها متممة لفصول كتاب المؤلف : (بلوغ الأَرَب في أحوال العرب) ، فانه لم يعقد فيه للعقوبات باباً ، وإن ورد فيه بعض ما ذكره فيها في الفصل الذي خَصَّ « ما كان العرب عليه من العبادات والأعمال في الجاهلية » ، ومنها ما جاء في هذا الفصل ولم يورده في هذه الدراسة . وليس منشأ هذا النقص فيها ، من خفائها عليه ، فقد كان – رحمه الله – العَلَم المفرد في العِلْم بتاريخ العرب قبل الإسلام ، الى جانب ضلاعته في علوم العربية والعلوم الإسلامية والمنقول والمعقول . ولكن من علة أخرى ،

هي انشغاله بما هو أهمّ منها من المؤلفات الكبار ، وقد كان يقبل على وضع تآليف متعـددة الموضوعات في وقت واحد ، فيكتب في كل موضوع ما يكتب ، ويطغى الأهم عنده على المهم ، ثم يترك كل كتاب في مُسَوَّدَته ، قلّما يشغل نفسه بتبييضه ، ليقبل على تأليف كتاب آخر جديد .

ويفرض عليَّ الصدقُ أن أعلن هاهنا : أنّني كنت نشرت هـذه الدراسة في الجزء الممتاز من صحيفة (العِراق) السياسية اليومية ، الذي صدر في ٢٧ شوال ١٣٤٢ هـ / ٢ حَزيران ١٩٢٤ م ، بعد التحاق صاحبها — رحمه الله — بالملأ الأعلى بأربعة وعشرين يوماً[1] ، تكريماً لذكراه ، واستجابةً لصاحب هذه الصحيفة أن أمدّه من آثار الفقيد العظيم بما يُزَيِّنُ به هذا « الجزء الممتاز » . فلم أر من آثاره لَدَيَّ مما تلائم طبيعته وحجمه طبيعة هذه الصحيفة ومشربها السياسي غيرَ هذه الدراسة ، فقدَّمْتُها اليه منقولةً بخطّي عن خطّ المؤلف وقراءتي لها عليه ، غيرَ مضبوطة ، ولا مُفَسَّرَة بشيء يوضح غوامض مادَّتها ، ويفسّر ما زخَر فيها من أشعار جاهلية عويصة ، وأمور أخرى كثيرة من الغريب ، لا يستغني عن تفسيرها وإيضاحها العلماءُ ، بَلْهَ الشُّداةَ ومَنْ إليهم من الدارسين ، ولم أعلّق إلا على خمس فِقَر منها لا تزيد جملتها على ثمانية عشر سطراً صغيراً ، جملة ما حوته نحوٌ من ١٣٠ كلمة . وسبب ذلك قِصَرُ الوقت بين الطلب والنشر ، ثم طبيعة منشورات الصحف السياسية التي لا تحمل الى جانب الفيض السياسي والأخباري إلّا نُطَفاً وقطرات من سحائب الأدب والعلم .

ثم جاءت (مجلة لغة العرب) ، بعد عامين وثلاثة أشهر من نشري لها ، فنشرتْها — في الجزء الثالث من أجزاء سنتها الرابعة [أيلول ١٩٢٦ م] — مبتورةَ الثُّلُثِ الأخير منها ، وهو يتضمن فصولَ : « دية الملوك ، والكلام

---

(١) توفي في رابع شوال ١٣٤٢ هـ .

على التعقية ، والعاقلة ، والأسير وما كان يعامل به وفداؤه ، وعقاب من هجا من الشعراء ، وجَزّ ناصية الرجل الشريف المأسور إذا أطلقوه » .

وقدّمت المجلةُ الدراسةَ إلى القراء بالإشادة بالمؤلف ودراسته ، فقالت :

« ليس بين علماء المسامين ، في البلاد العربية اللسان ، من كان مطلعاً على أحوال جاهلية العرب كالأستاذ الكبير (السيد محمود شكري الألوسي) . وكنّا طلبنا اليه في سنة ١٩١٤ أن يضع لنا مقالة في عقوبات جاهلية العرب . فكتب لمجلّتنا المقالة التي تراها هنا ، وهي من أحسن ما كتب في هذا الموضوع . ولما كانت مجلتنا قد اختفت مدة ١٢ سنة ، لم يكن من الممكن إدراجها في مجلة أخرى، ولا سيما لأن (؟) المؤلف أبى أن يراها في غير (لغة العرب) . ولهذا نزيّن بها جيدها ، ونفتخر بها كل الافتخار » (لغة العرب) .

وإني لأستغرب أن يغيب عن (مجلة لغة العرب) العالم بنشر هذه الدراسة (لا المقالة) في « جزء ممتاز » لصحيفة سياسية يومية محاية سيّارة ؛ وكلتاهما تصدر ببغداد ، وليست إحداهما في مشرق الوطن العربي والأخرى في مغربه الأقصى . فإنْ فاتها علم ذلك « مباشرة » ، فليس من المعقول أن لا يبلغها ذلك من طريق أصحابها وزوّار مجلسها « البَحّاثين » طَوالَ عامين وثلاثة أشهر . وليتها ، إذْ نشرتها بعد هذه المدة المديدة ، لم تبترها هذا البَتْرَ . وليتها ، إذْ بترتها ، لم تُخِلَّ بسلامة ما أبقته منها ، ولم تَضِمْهُ بالتحريف والتصحيف والتشويه ، وإنّه لكثير من مجلة تتمخض للغة العرب وللدراسات العربية العالية .

وكنت أغفلت في التحقيق الإشارة الى ذلك في مواضعه من الدراسة ، حتى اذا أنجزته وأقبلت على كتابة هذه المقدمة ، رأيت أن الأمانة العلمية ، وقد جئت على ذكر هذه المجلة ، تفرض أن أورد ذلك هاهنا صُبْرَةً واحدةً ، دفعاً للاغترار بها وبما أخلّت به وضامَتْهُ ، والحقُّ أولى بالحُرْمَة والالتزام . وهذا ما أخَلّت به (مجلة لغة العرب) ، وصوابه :

١- في مجلة لغة العرب (م ٤ / ج ٣ / ص ١٢١) :

« وسمّيت عقوبة الزاني ونحوه حدّاً لكونها تمنعه المعاوَدة ولكونها مقدرة من الشارع » .

والنص في الدراسة هنا (ص ٢١) : « . . . أو لكونها مقدرة من الشارع » .

٢- في لغة العرب (م ٤ / ج ٣ / ص ١٢٤) :

« فهلا أعدوني لمثلي تفاقدوا   إذا الخصم انبرى مائل الرأس أنكب » .

وقد أخلّت (انبرى) بوزن البيت ، وأفسدت معناه . والبيت في الدراسة (ص ٣٩) :

فهـلّا أعدّوني لمثلي تفاقدوا   إذِ الخَصْمُ أَبْزَى مائل الرأس أنكبُ

٣- في لغة العرب (ص ١٢٤ أيضاً) :

« فظل يضون التمر والتمرُ منقع   بورد كلون الأُرْجوان سبائبه

كأنك لم تسبق من الدهر ليلة   إذا انت أدركت الّذي كنت تطلب » .

والنص في الدراسة (ص ٤١) :

« فظَلَّ يَصُونُ التَّمْرَ والتّمرُ مُنقَعٌ   بوَرْدٍ كلون الأُرْجُوانِ سَبائِبُهْ

وقال (مُرَّةُ) :

كأنك لم تسبَقْ من الدهر ليلةً   إذا أنت أدركت الذي كنتَ تطلُبُ » .

وقد صَحّفت (لغة العرب) « يصون » بإعجام الصاد ، فصار « يضون » ، وليس له معنى ، وأسقطت عبارةَ « وقال مُرَّةُ » ، ووصلت البيتين المتباينين قافيةً ودلالةً ومعنى ، ولم تفطن للفرق بين « سبائِبُهْ » في قافية البيت الأول ، و « تطلُبُ » في قافية البيت الثاني ، ولم تعد إلى نفسها تسائلها : ما الصلة والرابط المعنوي بين البيتين ؟

٤- في لغة العرب (ص ١٢٥) :

« وأرسل عبدالله إذْحان يومه   الى قومه : لا تعقلوا لهم دمي »

وفي الدراسة (ص ٤٤) :

« أَرْسَلَ عبدالله . . » على (الخَرْم) ، أي : إسقاط الواو كما جاءت به رواية البيت ، وسيأتي في التعليق (٧٣ / ص ٤٤) .

٥- وفيها بعد هذا البيت :

« ودع عناك عمراً إن عمراً مسالم وهل بطن عمرو غير بشر لمطعم »

وفي الدراسة (ص ٤٤) :

« وَدَعْ عنك عَمْراً إنَّ عَمْراً مسالمٌ وهل بطن عَمْرٍو غيرُ شِبْرٍ لمطعم ؟»

وأين « البشر » من « الشِّبْر » ؟ وما دلالته في سياق البيت ؟

٦- في لغة العرب (ص ١٢٦) :

« وفي الحديث : أسممت أن لا أتهب إلا من قرشي . . » .

وفي الدراسة (ص ٤٧) :

« وفي الحديث : هَمَمْتُ أَنْ لا أَتّهِبَ ، إلّا من قُرَشِيّ . . » .

و « هممت » هي الصحيحة ، وليس لـِ « أسممت » معنى ، بل لا وجود لها في العربية .

٧- في لغة العرب (ص ١٢٦) :

« ووصف النعام بالمصلم تصغيراً لها » .

والنص في الدراسة (ص ٤٩) : « ووصفُ النّعام بالمُصَلَّم تصغيرٌ لها » .

٨- في لغة العرب (ص ١٢٦ أيضاً) :

« يقول : كأنكم مما تعيرون ليست لكم آذان » .

وفي الدراسة (ص ٤٩) : « تقول : كأنكم . . » ؛ لأن التي تقول امرأة ، وهي كبشة أخت عمرو بن مَعْدِ يكرِبَ ، وهو من الوضوح بمكان .

❋ ★ ❋

وإذْ كان هذا الإخلال ـ الذي ضام هذه الدراسة العلمية المفيدة الممتعة

بعدم التحقيق أولاً ، وبالبَتْر ثانياً ، وبالتصحيف والتحريف والتشويه ثالثاً ، فأفسدها أو كاد وأفسد مجهود مؤلفها - رحمه الله - أمراً لا يليق حدوثه ، ولا ينبغي أن يُمْنَى بمثله أيُّ أثَر جيّد من آثار علمائنا المحققين الكبار - رأيت أنّ حقيقاً عليَّ أن أمحضها من مجهودي ما تستحقّه ، وأن أقدّمها إلى الدارسين كاملة النّص ، ومحقّقَةً تحقيقاً علمياً دقيقاً ، مُوَفّراً لها الضبط والتفسير ، وألحق بها كتاباً مكمِّلاً لها ، يتألّف من قسمين : القسم الأول أفردت فيه أشياءَ من عقوبات العرب الجاهليين لم تذكر في الدراسة ، والقسم الثاني أفردته لمسائل خرجت بها في أثناء الشرح إلى التفصيل لشدّة الداعية إليه ، وهي أحق بأن تكون فصولاً مستقلّة ، لا لضيق المقام بها فَحَسْبُ ، ولكن لإبرازها في الكتاب واضحة الصورة والقَسَمات أيضاً ، لتكون أبينَ للقرّاء . ثم صنعت للدراسة وللكتاب فهارس فنية متعدّدة ، تقريباً لفوائدها ، وتسهيلاً للعجلان أن يقع عليها في يسر وسهولة ، ولعلّي بلغت الغاية فيما صنعت . ورجيّتي من أهل العلم أن يوافوني بما يستدركونه عليَّ من سهو أو خطأ أو زلل ، لأُقَوِّمَهُ وأعلنه ، إذِ العلم أمانة في أعناق أهله ، وكل إخلال به إخلال بأمانته هذه ، ومن يكتم إصلاحه فإنّه آثمٌ قلبه ، وفوق كلّ ذي علم عليم .

(٢)
مؤلّف الكتاب

وواضع هذه الدراسة هو العلامة الحجّة السيّد محمود شكري الحسينيّ الآلوسيّ البغداديّ ، رائد النهضة العلميّة والأدبيّة في العِراق ، وأحد أركان الإصلاح الإسلاميّ ودعاته في العصر الحديث . . علامة فحل ، وعلم شامخ . جلّى في العلوم العقلية والنقلية ، وفاق في الكلام والعلم بالملل والنحل والمذاهب ، كما فاق في العربية وعلوم الأدب ومعرفة تاريخ العرب والأنساب وغيرها ، وجمع الى الاستيعاب الجامع والتطبيق الجَلْد الصبورِ عُمْقَ التفكير واستقلاله ، وامتاز بالتحرر من التقليد امتيازَه بحرارة الإيمان والزهد وعزة النفس وسموّ الذات .

وهو سليل الأسرة الألوسية الحسينيّة الحسنيّة الشهيرة ، التي نبغت في العِراق إبّانَ حكم المماليك في المئة الثالثة عشرة الهجرية ، وطبّقت شهرتها العلمية الآفاق .

ولد ببغداد في ١٩ شهر رمضان ١٢٧٣ هـ / ١٢ أيار ١٨٥٦ م ، في دار جدّه الإمام أبي الثناء محمود شهاب الدين الألوسي المفسر المحدث الفقيه اللغوي الأديب المنشئ المبدع ، صاحب تفسير « روح المعاني » والآثار الحسان في اللغة والأدب والرِّحَل . وتخرج بأبيه العالم الأديب الكاتب عبدالله بهاء الدين ، وعمه العلامة الحَبْر المجتهد أبي البركات نعمان خير الدين . وأخذ عن جماعة من علماء بغداد : من تلاميذ جدّه ، ومن غيرهم من العلماء الطارئين على بغداد ، وتعلم التركيّة والفارسيّة ، وجَوَّد الخطّ بأنواعه المستعملة . وفي مَيْعة شبابه تصدّر للتدريس وأقبل على التأليف . وكانت مؤلفات جده وأبيه وأعمامه نُصْبَ عينيه ، وهي مؤلفات تمتاز بالتنوّع وغزارة المادة

وقوة البحث وأصالة الرأي والنظر ، فانبعث إلى التأليف في موضوعات جديدة وطريقة لم يُعرَف لعهده التأليف في قسم منها ، ونزع الى أخذ الشريعة والعقيدة من القرآن وصحيح السنة ، بعيــداً عن التقليد . وطفق يصحّح العقائد ، ويحارب البدع والتفرق في الدين ، في دروسه وفيما يؤلف من كتب ورسائل . وانتشرت دعوته ، فأمّهُ الطلاب الأذكيــاء ، وتخرج به كثيرون ورثوا فكره وعلمه وصلاحه وإصلاحه . وقد علت شهرته في العراق وفي آفاق الدنيا ، وهو في الثلاثين من العُمُر ، حين حاز كتابه (بلوغ الأَرَب في أحوال العرب) ذو الأجزاء الثلاثة الكبار جائزة (أسكار الثاني ملك السويد والنرويج) في سنة ١٨٨٧ م ، فاحتفلت به الصحف السيارة في الغرب والشرق .. ولهذا الحَدَث التاريخيّ حديث طويل بسطته في كتابي : (محمود شكري الألوسي : سيرته وآراؤه اللغوية) . وأذكى نبوغه وعلوّ اسمه مع شرف بيته الرفيع نارَ الحسد عند أصحاب القلوب المِراض ، ونفسوا عليه مكانته التي أخفتهم وتضاءلوا دونها ، فطفقوا يذيعون عنه قالة السوء ، ويغرون به الحكام يريدون الإيقاع به ، متذرعين لذلك باتّهام فكره المتحرر وكتاباته الإصلاحية بالزيغ ، وهم الزائغون . وعجزوا أن ينالوا منه منالاً ، ولم يقعدوا عنه ، حتى أصابوا بِغْيَتَهم عند والٍ ألْباني يقال له (عبدالوهاب باشا) كان يَشْنَأُ الإصلاح والمصلحين من جهل وغباوة ، فوسوسوا له في شأنه . فرفع إلى السلطان عبدالحميد الثاني ما ألقوه اليــه عنه من باطل وزور . فأصــدر السلطان « إرادته » بنفيه ونفي بعض كبار أصحابه وتلاميذه الى (الأناطول) ، فأُخذ من داره مخفوراً ليلة ٢٢ المحرم ١٣٢٣ هـ . فلما بلــغ ركبه (الموصل) ، خرج علماء هذه المدينة العربية الإسلامية وجماهيرها التي يغلب عليها طابع العقيدة النظيفة : تستقبله في « مظاهرة » من التكريم ، واستفظاع للتنكيل بالإصلاح والمصلحين ، واحتجزت الركب أن يسير الى (الأناطول) ، وراسل علماء المدينة وأعيانها

السلطانَ في شأنه : ليلغي أمر النفي ، ويعيد الحرية اليه وإلى صحبه . وامتد بقاؤه مع صحبه في الموصل شهرين . . تسامع غرماؤه ببغداد خلالهما بهذا السعي النبيل ، فأجمعوا أن يكيدوا له كيداً جديداً ، ونجحت مقدمة التدبير السيء لدى والي ولاية (الموصل) ، ولكنه أخفق في (إسلامبول) بفضل تصحيح الموصليين رأي السلطان عبدالحميد في السيد الألوسي . فألغى أمره ، وأذن بعودته مع صحبه الى بغداد . ومشت الموصل في توديعه كما استقبلته ، ودخل الركب بغداد شامخ العِرْنِين ، وقد تسابقت جماهيرها إليه ، وفي مقدمتها الأصدقاء والتلاميذ ، من مراحل بعيدة ، واستقبلته استقبالاً حاراً منقطع النظير ، وتواردت على السيد الألوسي القصائد والرسائل من كل صَوْب : تهنئه بعودته إلى جهاده ، وانتصاره على غرمائه . وعاد الى هِجّيراه في التدريس والتأليف ، غيرَ حافل بشيءٍ من متاع العاجلة ، قانعاً بمرتب من التدريس لا يكاد يسدّ الرمق ، وصادفاً عن المناصب . . إلا عضوية مجلس الإدارة في ولاية بغداد : انتخبه البغداديون لها ، ليحلّ فيها محلّ أحد غُرَمائه الذين تآمروا عليه وسَبّبوا نفيه وإِزعاجه ، فقبلها نزولاً عند إرادة الشعب البغدادي . ثم أقحمته الدولة في ميدان السياسة عند نشوب الحرب العالمية الأولى لأول احتلال الجيش البريطاني ثَغْرَ العراق (الفاو) و (البصرة) ، فندبته على رأس وفد — فيه ابن عمّه العلامة علي علاء الدين ابن نعمان خيرالدين الألوسي — أن يؤم (الرِّياض) ، ليحمل أميرها عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود على الوقوف الى جانب الدولة العثمانية في هذه الحرب . فسار اليه من طريق الشام والحجاز ، وأبلغه هذه الرغبة ، فشاركه الأمير الشاب في شعوره الإسلامي وما يجب على المسلم من نصرة أخيه المسلم في ساعة العسرة ، مؤكداً له أن سجاياه العربية الإسلامية تملي عليه نسيان ما اقترفت الدولة من مآثم في تخريب دياره وتقتيل أجداده وقومه ، وأنّه يَوَدّ لو يستطيع أن ينضم اليها فيدفع عنها وعن العراق هذا

العدوان ، لو لا أن ما يراه من قوة الأعداء ، ومن ضعف إمارته ، يفرض عليه التزام الحياد ؛ لأن خوضه غمـــار الحرب ينتهي به إلى تقويض إمارته الناشئة ، ولا يغني الدولة فتيلاً . وأنهى السيد الألوسي الى الدولة هذه النتيجة ، وعاد من طريق الحجاز والشام ، حتى اذا بلغ (دمشق) وجد ناساً من أعداء الإصلاح قد كادوا له عند جمال باشا السفاح قائد الجيش الرابع في الشام ، وألقوا في روعه أن السيد الألوسي هو الذي زين لأمير الرياض موقف الحياد . ولكنه صم أذنه عن هذه الفرية ، لما كان يعلمه من إخلاص السيد الألوسي للملة والدولة وكراهتـــه الشديدة للاستعمار . . ذكر ذلك له جمال باشا نفسه عند اجتماعه به بدمشق . وقضى الله أن يحتل البريطانيون بغداد في آذار ١٩١٧م ، فكان وقع ذلك شديداً على نفسه . وحاسنه البريطانيون دهاة منهم وإشعاراً للشعب بتقديرهم مكانة علمائه وأعيانه ، فأرادوه أن يتولى « الإفتاء » فأباه ، ثم فاوضوه في إحـــداث منصب « قاضي القضاة » له فأباه . واجتاحت العراق أزمـــة اقتصادية خانقة ، فبعثوا إليه على يد الكرملي بالذهب يستعين به على قضاء حوائجه ، فرده في شمم وإباء وهو فقير إليه ، كما أعلن الكرملي نفسه ذلك في حفل تأبينه في (المجمع العلمي العربي) « مجمع اللغة العربية » اليوم بدمشق . وهكـــذا درج السيد الألوسي على هذا الخط المستقيم من الزهد والترفع ، مع الانصراف التام الى العبادة الخالصة ونشر العلم . . الى أن أدركته الوفاة في رابع شوال ١٣٤٢ هـ ، رحمه الله وأجزل ثوابه .

وفضائله وفواضله على العلم وأهله يضيق المقام عن التبسط فيها .

وقد ناهزت مؤلفاته ستين كتاباً : بين رسائل صغيرة ، وكتب كبار من جزءين وثلاثة أجزاء .

أذكر منها في تصحيح العقائد : « غاية الأماني ــ ط » جزءان كبيران ، و « المنحة الالهية ــ أو مختصر التحفة ــ ط » جزء كبير.

وفي بعض علوم القرآن : « كتاب ما دلّ عليه القرآن مما يعضد الهيأة الجديدة – ط » جزء كبير .

وفي العربية : « الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر – ط » ، و « مختصره – خ » ، و « كتاب النحت – خ » ، و « الجوهر الثمين في بيان حقيقة التضمين – خ » ، و « الجواب عما انبهم من الأسئلة المتعلقة بحروف المعجم – خ » ، و « كتاب ما اشتملت عليه حروف المعجم من الدقائق والحكم – خ » ، و « شرح أرجوزة تأكيد الألوان – ط » ، و « الفتَاوى – خ » في اللغة وعلوم العربية وغيرها .

وفي تاريخ العرب وأنسابهم : « بلوغ الأرب في أحوال العرب – طبع مراراً » ثلاثة أجزاء كبار ، و « شرح منظومة عمود النسب » للشيخ أحمد المالكي الشنقيطي – خ » جزءان كبيران في أنساب القحطانيين والعدنانيين ومشاهيرهم ، و « عقوبات العرب في جاهليتها وحدود المعاصي التي يرتكبها بعضهم » وهو هذه الدراسة التي بين يديك ، و « فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية – طبع مرتين أو أكثر » ، و « تاريخ نجد – ط مرتين » .

وفي تاريخ بغداد ، ورجالها ، ومساجدها وآثارها : « أخبار بغداد وما والاها من البلاد – خ » وأنا أحققه اليوم ، و « المسك الأذفر في مزايا علماء القرن الثالث عشر – » نشرت قطعة منه سنة ١٩٣٠ م ، وأنجزت تحقيقه كاملاً ليكون في جملة الكتب التي قرر المجمع نشرها في الاحتفال ببغداد ومؤرخها الخطيب البغدادي ، و « تاريخ مساجد بغداد وآثارها » وقد هذبته وبوبته ونشرته في سنة ١٣٤٦ هـ .

وفي المنطق : « الأجوبة المرضية عن الأسئلة المنطقية – خ » .

وفي العروض والأدب والنقد والمباحث العامة : « المفروض من علم العروض – خ » ؛ و « بدائع الإنشاء – خ » جزءان ، و « رياض الناظرين في مراسلات المعاصرين – خ » ، و « القول الظريف في تزييف دعوى ناصيف – خ » نقد لمقامات ناصيف اليازجي ، و « الماء وما ورد في شربه من الآداب »

تطبعه الآن (الأكاديمية المغربية) بتحقيقي وتعليقاتي .

وحقق ونشر من آثار السلف الكبار : « كتاب تأويل مختلف الحديث » لابن قتيبة الدِّيْنَوَرِي البغدادي ، و « منهاج السنة النبوية » ، و « بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول » ، و « تفسير سورة الإخلاص » ، و « جواب أهل العلم والإيمان » – وهذه الكتب الأربعة العظيمة لشيخ الإسلام أحمد تقي الدين بن تَيْمِيَّة ، و « شفاء العليل في القضاء والقدر والتعليل » ، و « مفتاح دار السعادة » وهما للإمام شمس الدين بن قيّم الجوزية و « ميزان المقادير في بيان التقادير » لرضي الدين القزويني ، و « نُخَب الذخائر في أحوال الجواهر » لمحمد بن ابراهيم السنجاري المعروف بابن الأكفانيّ ، و« كتاب البئر » لابن الأعرابي .



سيرة رائعة ، ومثال من الفضائل والفواضل مكتمل الأوصاف ، يجمع الى أدب الدرس أدَبَ النفس : من الخلق الكريم ، والعفة ، والزهد ، والنسك ، والإخلاص ، والترفع . . كما يجمع الى العلم المتعمق العمل والجلد الصبور في التطبيق مع صدق الرأي والنظر وقوة الفكر واستقلاله . ولم يبعد العلامة المجتهد السيد محمد رشيد رضا الحسيني عن تقديره الصحيح له حين صدّر أول ترجمة للسيد الألوسي كتبتُها ونشرها لي في مجلته (المنار) (م ٢٥ / ج ٥ / ص ٣٧٤ – ٣٨٩) بمقدمة وضعها بين يديها : أشاد فيها بجلال قدره ، وعَنْوَنَ لها بنعتِ « عالم العراق ورحلة أهل الآفاق » .

والكلام في هذا الإمام الهمام يطول جدّاً . وقد ألممت بطرف منه ، وفاءً لبعض حقه ، بقدر الجهد الذي أستطيعه ، في كتابَيَّ : « أعلام العراق » ، و « محمود شكري الألُوسي : سيرته وآراؤه اللغوية » .

محمد بهجة الأثري

بسم الله الرحمن الرحيم

قد حصَر بعض العلماء [١] ما قيــل بوجوب الحَدّ [٢] بــه ، في سبعةَ عَشرَ شيئاً : قسم مُتّفَق عليه ، وقسم مختلف فيه .

فمن المُتّفَق عليــه : الرِّدَّةُ [٣] ، والحِرابةُ [٤] ما لم يَتُبْ قبــلَ

---

(١) هو الإمام الحافظ المؤرخ أحمد بن علي بن محمد الكِناني العسقلاني ، المعروف بابن حَجَر . وسأترجم له عند تسميته قريباً . وكلامه هذا في كتابه (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) « ٢/ ٤٩ ، ط . بولاق » .

(٢) سيذكر المؤلف تعريف « الحَدّ » . وينظر أيضاً في :شروح الحديث ، وتهذيب اللغة ، والنهاية ، ولسان العرب ، وتاج العروس (ح /د/ د) ، وغيرها .

(٣) الرِدّة : اسم من الارتداد ، وهو الرجوع والتحوُّل ، وفي التنزيل العزيز : (مَنْ يَرْتَدِدْ منكم عن دينه) ، أي : يرجع ويتحوّل عنه . والرِدّة التي حدثت بعد انتقال الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، إلى الرفيق الأعلى — ليست ارتداد أحد من صحابته الأبرار ، رضوان الله عليهم ، وإنما هي ارتداد قوم من جفاة الأعراب في أطرار « جزيرة العرب » ، ظهر في امتناعهم عن أداء الزكاة ، وهي ركن من أركان الإسلام الخمسة . وقد كان عهدهم بالإسلام قريباً ، ولم يكن إيمانهم به قد استقرّ في نفوسهم ، وكان وراءهم المتنبؤون الكاذبون ، من أمثال الأسود العَنْسِيّ ومُسَيْلِمَةَ وسَجاحِ ، يدفعونهم الى قتال المسلمين، ووراءهم الفُرْسُ الساسانيون الذين بغوا على أطراف الجزيرة ، وهالهم الإسلام — وهو يشرق من مكة ويبسط سلطانه على جزيرة العرب ويهددهم بإجلائهم عن بلاد العرب التي اغتصبوها ، وألقوا كلكلهــم عليها — فسعوا سعيهم للقضاء عليه على يد هؤلاء المتنبئين ، بتدبير الانتقاض عليــه ، وقد ذَرَّ قَرْنُه في أواخر أيام الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقضى على المنتقضين ، ثم ذَرَّ ثانيةً لأول خلافة أبي بكر الصديق ، رضوان الله عليه ، فأبطل فعلهم في مهده ، وردّ المُغرَّرَ بهم إلى الإسلام على هدى وبصيرة ، وضمهم الى الشمل الموحد ، وأعدّهم مع من أعَدّ لتطهير الأرض العربية مــن الساسانيين والبيزنطيين جميعاً .

(٤) الحِرابة ، كصِناعة وحِياكة ونِجارة وتِجارة : مصدر حَرَبَ ، صاغه الفقهاء =

القُدرة ، والزِّنَى ، والقَذْفُ به ، وشُرْبُ الخمر : أسكر أم لا ، والسَّرِقةُ .

ومن المختلف فيه : جَحْدُ العارِية(٥) ، وشُرْبُ ما يُسكِرُ

لإفادة الدلالة على مهنةٍ . . مهنةِ قطع السُّبُل ، واعتراض الناس بالسلاح في الطرق ونحوها ، ليغصبوهم أموالهم مجاهرةً . وقد استعمل شيخ الإسلام أحمد تقي الدين بن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ) في « فتاواه : ٢٨/٣١٣ : ط ١ » : « الحِراب » ، ولم يستعمل « الحِرابة » . وأغفلتها المعاجم قديمها وحديثها ؛ لأن وزن « فِعالة » من المصادر القياسية المعروفة التي يطرد القياس عليها ولا يتوقف. وفي « لسان العرب » : « الحارب : المُشَلِّح ، أي الغاصب الناهب ، الذي يعرّي الناس ثيابهم . والحَرَب ــ بالتحريك ــ أن يُسْلَبَ الرجلُ ما لَهُ . حَرَبَهُ : إذا أخَذ مالَه ، فهو محروب وحَرِيب ، من قوم حَرْبَى وحُرَبَاء ، الأخيرة على التشبيه بالفاعل، كما حكاه سيبويه ، من قولهم : قَتِيلٌ وقُتَلاء . وحَرِيبَتُهُ : مالُهُ الذي سُلِبَه ، لا يسمّى بذلك إلا بعد ما يُسْلَبُهُ . وقيل : حريبة الرجل ــ مالُهُ الذي يعيش به ». وزاد الزمخشري في « أساس البلاغة » بعد « حريبته » كلمة : « وحَرائبه » ، ووردت في « تاج العروس » : « وحرابته » ، والصواب « وحرائبه » ، ففي حديث (بدر) : « قال المشركون : اخرجوا إلى حرائبكم » . قال ابن الأثير في « النهاية » : هكذا جاء في الروايات ، بالباء الموحدة ، جمع حَرِيبة ، وهو مال الرجل الذي يقوم به أمره » ، قال : « والمعروف بالثاء المثلثة: حَرائثكم » ، وذكره في الثاء .

(٥) العارِيَة ــ بتخفيف الياء وتشديدها ، وجمع المخففة : عَوارٍ ، وجمع المشدَّدة : عَوَارِيُّ ــ : العارَةُ ، وهي ما تعطيه غيرَك على أن يعيده إليك . يقال : « كل عارَةٍ مُسْتَرَدَّةٌ » . وفي الحديث : « إن امرأة مخزومية كانت تستعير المتاع ، وتجحده . فأمر بها ، فقُطعت يدها » . . قال ابن الأثير : وذهب عامة أهل العلم إلى أن المستعير إذا جحد العارية ، لا يقطع ، لأنه جاحد ، وليس بسارق . والخائن والجاحد ، لا قطع عليه نصّاً وإجماعاً . وذهب إسحاق إلى القول بظاهر الحديث . . وقال أحمد : لا أعلم شيئاً يدفعه . قال الخطابي : وهو حديث مختصر =

كثيرُهُ من غير الخمــر ، والقَذْفُ بغير الزِّنَى ، والتعريضُ بالقَذْف ، واللِّـِـِواطُ ولو بمَنْ يَحِلُّ نِكاحهــا ، وإتيانُ البهيمة ، والسِّحاقُ[٦] ، وتمكينُ المرأةِ القِرْدَ وغيرَه من الدَّوابّ من وَطْئِها ، والسِّحْرُ ، وتركُ الصَّــلاة تكاسُلاً ، والفِطْرُ في رَمَضانَ[٧] . وهذا كلُّه ، خارج عمّا

اللفظ والسياق ، وإنما قطعت المخزومية لأنها سرقت ، وذلك بيّن في رواية عائشة لهذا الحديث . ورواه مسعود بن الأسود ، فذكر أنها سرقت قَطِيفة من بيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وإنما ذكرت الاستعارة والجحد في هذه القصة ، تعريفاً لها بخاصّ صفتها ، إذْ كانت الاستعارة والجحد معروفة بها ومن عادتها ، كما عرفت بأنها مخزومية ، إلا أنها لمّا استمرّ بها هذا الصنيع ، ترقّت الى السرقة ، واجترأت عليها ، فأمر بها فقُطِعتْ .

(٦) السّحاق ، والسّحق ، والمُساحَقَة : إتيان المرأةِ المرأةَ . قال الأزهري في تهذيب اللغة (٤/ ٢٣) : « ومساحقة النساء لفظها مُوَلّد » ، وتابعه ابن منظور في لسان العرب ، والزبيدي في تاج العروس ؛ والصحيح أنه من المجاز كما في أساس البلاغة ، وهو استعمال قديم معروف ، ففي حديث مكحول عن واثلة بن الأسقع أنه قال : « قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلّم : سِحاق النساء زِنى بينهنّ » . رواه البيهقي في « شعب الإيمان » . وللإمام ابن حزم كلام على هذا الحديث في « المُحلّى » (١١ / ٣٩٠ ـ ٣٩٢) . وعن جابر بن عبدالله : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « إنّ أخوف ما أخاف على أمتي عملُ قوم (لُوط) » . وفي لفظ آخر عنه ، صلى الله عليه وسلم : « إن أخوف ما أخاف على أمتي من بعدي عمل قوم (لوط) . ألا ! فلترقب أمّتي العذابَ إذا كان الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء » ، ولم يذكــر لفظ « السِحاق » . وفي « معجم الفقه الحنبلي » (ص ٤٥٠) : « السحاق بين النساء زنى بينهن ، ولا حَدَّ فيه ، وفيه التعزير » . وانظر عنه أيضاً (ص ٤٦٣) . وقد تردد ذكر « السحاق » كثيراً في شعر أبي العتاهية وغيره من شعراء العصر العباسيّ .

(٧) قال ابن دريد : لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة ، سمّوها بالأزمنة التي هي فيها ، فوافق رَمَضانُ أيامَ رَمَض الحرّ وشِدّته ، فسمّي به . قال الفرّاء :

تشرع فيه المُقاتلةُ ، كمــا لو ترك قومٌ الزَّكاة ، ونَصَبُوا لذلك الحربَ .

★ ★ ★

وأصل الْحَدّ : ما يَحْجِز بين الشّيئين ، فيَمْنَعُ اختــلاطَهما .
وحَدُّ الدّار : ما يميّزُها . وحَدُّ الشّيء : وصفُه المحيطُ به ، المميّزُ له عن غيره .

وُسمّيت عقوبة الزّاني ونحوِه « حــَدّاً » ،لكونها تمنعه المُعاوَدَةَ ، أو لكونها مُقَدَّرَةً من الشّارع .

وتُطْلَقُ « الحدود » ، ويُرادُ بها نَفْسُ المعاصي ، كقولــه تعالى : (تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلا تَقْرَبُوها)[8] ؛ وعلى فعــلٍ ، فيــه شيءٌ مُقَدَّرٌ ، ومنه : (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) .[9]
وكأنّها لمّا فَصَلَت بينَ الحلال والحرام ، سُمِّيَت حُدوداً . فمنها ما زُجِر عن فعله ، ومنها ما زجر عن الزّيادة عليه والنُّقْصان منه .

يقال ـ : هذا شهر رمضانَ ، وهما شهرا ربيعٍ ، ولا يذكر « الشهر » مع سائر أسماء الشهور العربية . يقال : هذا شعبانُ قد أقبل . وشهر رمضان مأخوذ من رَمِضَ الصائم يرمَضُ ، إذا حَرَّ جوفُه من شدّة العطش . قال الله عز وجل : (شَهْرُ رَمَضانَ الّذِي أُنزِل فيه القرآن) . أقول : وقد ورد في بعض الرجز « رمضان » من غير « شهر » لقائل غير معروف ، ولا أراه يصح شاهداً ، لأنه مقيّد بالوزن ، وهو :

جاريةٌ في رَمَضانَ الماضي تُقَطِّعُ الحديثَ بالإيماض

وجمع رمضان : رَمَضاناتٌ ، ورَماضينُ ، وأرْمِضاءُ ، وأرْمِضَةٌ ، وأرْمُضٌ ؛ عن بعض أهل اللغة ، وليس بثَبَت على ما قال ابن منظور .

(٨) الآية ١٨٧ من سورة البقرة .

(٩) الآية ١ من سورة الطلاق .

والمقصود هنا بيانُ ما كان من العقوبات عندَ العرب أيّامَ الْجاهِليّة .[١٠]
والمقصود من (العرب) ، عربُ « الحِجاز » و « نَجْد » وأضرابُهم ، لا عربُ جميعِ أَنْحاء « الجزيرة » . فقد كان عرب « اليَمَن » : منهم يهودٌ ، ومنهم نصارى ، ومنهم غيرُ ذلك . وكذلك عرب « الشّام » و « العِراق » ، كانوا على نِحَلٍ[١١] شَتّى .

وعربُ « الحِجاز » و« نَجْد » وأضرابُهم ، كانت لَدَيْهِم أَحكام كثيرة ، لم يَنْسَخْها الإسلام[١٢] ، كما ذكر ذلك (الدَّهْلَوِيّ)[١٣] في كتابه

(١٠) ينظر الكتاب الملحق بهذه الدراسة .
(١١) النِّحَلُ : جمع النِّحلة ، وهي الدّين . يقال : ما نِحلتك ؟ أي : ما دينُك ؟
(١٢) ينظر « النسخ » في الكتاب الملحق بهذه الدراسة .
(١٣) هو الشيخ أحمد بن عبدالرحيم العمري الدَّهْلَوِيّ ، الملقب « شاه وليّ الله » : فقيه محدث مجتهد ، من أهل « دهلي » بالهند . ولد سنة ١١١٠ هـ – ١٦٩٩ م . درس العربية والعلوم الإسلامية في بلده ، وزار الحجاز سنة ١١٤٣ هـ – ١٧٣١ م ، وأخذ عن أئمة الحديث فيه ، وتمسك بالكتاب والسنة ، وذهب الى أنه لا يجوز تقليد شخص معيّن مع إمكان الرجوع الى الروايات الدالة على خلاف قول الإمام المُقَلَّد . قالوا : وأحيا الله به وبأولاده وأولاد بنته وتلاميذهم الحديثَ والسنة بالهند بعد مَوَاتهما ، وعلى كتبه وأسانيده المَدارُ في تلك الديار . درّس وأفاد ، وخرَّج ، وصنف كتباً جليلة بالعربية والفارسية ، منها : الفوز الكبير في أصول التفسير ، بالفارسية ، قالوا : هو ممـا لم يسبق اليه ، وقد طبع . وفتح الخبير بما لابُدَّ من حفظه من التفسير ، بالعربية ، في حل الغريب – ط . وتأويل الأحاديث ، بالعربية ، في توجيه قصص الأنبياء . . وفتح الرحمان في ترجمة القرآن ، ترجمة فارسية على شاكلة النظم العربي . والمقدمة السنية ، بالفارسية ، في أصول الترجمة وقواعدها في نقل القرآن من العربية الى لسان آخر . وقُرّة العينين في تفضيل الشيخين أبي بكر وعمر ، بالفارسية . وإزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء – ط . والإنصاف في أسباب الخفاء – ط . وعِقْد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد – ط . وحجة=

(حُجّةِ اللهِ البـالغة) . و لـِ (هِشامٍ الكَلْبِيّ ِ[14]) كتاب في ذلك ،

★ ★ ★

= الله البالغة، بالعربية : جزءان كبيران في فلسفة التشريع الإسلامي ، وهو من أجل الكتب في فنه ، طبع بمصر ، سنة ١٣٢٢ هـ ، وغير ذلك . وتوفي الدهلوي في سنة ١١٧٦ هـ ـ ١٧٦٢ م . وله ترجمة في: «كتاب الثقافة الإسلامية في الهند» (معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف) تأليف السيد عبدالحيّ الحسيني ، وأبجد العلوم للسيد محمد صديق خان أمير بهوبال بالهند ، ص ٩١٢ ، وايضاح المكنون ١/ ٦٥ و ١٦١ ، وفهرس الفهارس ١/ ١٢٥ ، واكتفاء القنوع ٩٧ و ١٣٤ و ١٨٥ ، واليانع الجنَى ١٩ ، والأعلام ١/ ١٤٤ ، ط ٢ .

(١٤) هشـام بن محمد بن السـائب الكلبي : من أهل الكوفـة ، طارىء عليها «وليس بعربي ، انما كان ابوه يلقب (كلب الرحل) ، فقيل له : (الكلبي)» كما في الأغاني (١٠/٥٦ ، ط. دار الكتب) . وقد زعم زعماً كاذباً أنه من : « كلب بن وبرة من قضاعة » . وقد كان (سـبئياً) ينتحل نحلة (عبدالله بن سبأ اليهودي) الذي تستر باظهار اسـلامه ، ، لينال من الاسلام ، فأحرقه واصحابه امير المؤمنين علي رضي الله عنـه كما في كتاب المعارف (ص ٦٢٢) وغيره .. وعلى نهجه نهج ابنه (هشام) هذا ، فكان من رؤوس الشعوبيين الكذبة الوضـاعين للأحاديث والأخبـار ، ناصب العرب العداء ، ووضع فيهم (كتاب المثـالب) ، وافترى عليهم ماشاء له هواه وباطله أن يفتري ويكذب . وقد اجمع المحققون على تركه وترك أبيه واطراح مروياتهما . ووجدت صاحب (الأغاني) ينقل عنه ، ويعقب على رواياته بمثل قوله : « هـذا من اكاذيب ابن الكلبي » ، و : « لعل هذا من أكاذيب ابن الكلبي » . وجاء في « الأغاني » (١٠/٥٥) : « أن الخليفة المتوكل على الله ، ولاه البريد ، واحلفه بالطلاق ان لايكتمه شيئاً من أمر الناس جميعاً ، ولا من أمره هو في نفسه . فكذب عليه في خبر حكاه عن زوجه مع حبتها» لا احب حكايته هنا. وقد فصلت فيه القول في (نقض كتاب المثالب) . قال مؤرخوه : مات هشام في الكوفة في سنة ٢٠٤ هـ أو سنة ٢٠٦ هـ ، وصـحح ابن خلكان في وفيات الأعيان (١٩٦/٢) القول الأول . وخبر تولية المتوكل اياه البريد يشعر انه مات بعد ذلك ، لأن المتوكل بويع بالخلافة لست بقين من سنة ٢٣٢هـ، واغتيل سنة ٢٤٧هـ . ولهشام نيف وخمسون ومئة كتاب في الأنساب والأخبـار وغيرها ، سرد اسـماءها محمد بن اسـحاق النـديم في « الفهرست » (١ / ٩٥ ط . أوربة ، وص ١٤٠ ط ، مصر) .

سمّاه (كتاب ما كانت الْجاهليّة تفعله ووافق حكم الإسـلام)[١٥] ، وهو كتاب لم أظفرْ به .

ومن العقوبات الّتي كانت عندَهـم (قطعُ يـَدِ السّارق) :

فقد كان ذلك معلوماً عند العرب قبل الإسلام[١٦] . ونزل (القُـرآن) بقطـع السّارق[١٧] ، فاستمرّ الحال فيه .

وقد نقل (العَسْقَلانيُّ)[١٨] في (شـرح البُخـارِيّ) : أنّ (ابْنَ

---

(١٥) ذكره محمد بن اسحاق النديم في (الفهرست) واسمه فيه : «كتاب ما كانت الجاهلية تفعله ويوافق حكم الاسلام » .

(١٦) « فتح الباري بشرح صحيح البُخاري » (١٢/ ٧٧) .

(١٧) قال الله تعالى في سورة المائدة : (والسّارِقُ والسّارِقَةُ فاقْطَعُوا أيْدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا ، نَكالاً مِنَ اللهِ . واللهُ عزيزٌ حكيم(٣٨) فَمَنْ تابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وأصْلَحَ فإنَّ اللهَ يَتُوبُ عليهِ ،إن اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(٣٩) .

(١٨) هو الإمام الحافظ المؤرّخ الثّبَت أحمد بن عليّ بن محمد الكِنانيّ العَسْقَلانيّ ، أبو الفضل ، شهاب الدين بن حَجَر . أصله من « عَسْقَلان » من أجَلّ مُدُن فِلَسْطين . مولده بالقاهرة سنة ٧٧٣ هـ – ١٣٧٢ م ، ووفاته فيها سنة ٨٥٢ هـ – ١٤٤٩ م . وهو أحد عظماء المؤلفين في الإسلام ، له مصنّفات كثيرة جليلة ، « انتشرت في حياته ، وتهادتها الملوك ، وكتبها الأكابر » ، ومنها : « الإصابة في تمييز أسماء الصحابة – ط » ، و« فتح الباري بشرح صحيح البخاري – ط »، ١٤ جزءاً ، و « تهذيب التهذيب – ط . في رجال الحديث ١٢ مجلداً » ، و« لسان الميزان – ط » ٦ أجزاء ، و « ، إنباء الغمر بأبناء العمر – خ » جزءان ضخمان ، و « الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة – ط » ٤ أجـزاء ، وغيرها . ومصادر ترجمته في الأعلام ٩ – ١٧٣/ ١٧٤ ط ٢ . ولتلميذه الحافظ شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاويّ « كتاب الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » رأيته في (الخزانة الملكية) في (الرباط) عاصمة المملكة المغربية ، في خريف ١٤٠٢ هـ – ١٩٨١ م ، ومنه نسخة ثانية في (المكتبة الوطنية) في « باريس » (٢١٠٥ التاريخ) ، وعنها نسخة مصورة في (دار الكتب المصرية) بالقاهرة =

الكلبيّ) عقَد باباً لمن قُطِــع في الجاهليّــة بسبب السّرِقة[١٩] ، في (كتاب المَثالِب)[٢٠] ، وذكر قِصّةَ الّذين سرَقُوا غزالَ « الكعْبَة » ، فقُطِعوا في عهــد (عبــدالمُطّلِب)[٢١] جَدّ (النّبِيّ) ، صلّى الله

= (٤٧٦٨ التاريخ) . وللباحث العراقي الدكتور شاكر محمود عبدالمنعم : « ابن حجر العسقلاني : دراسة مصنفاته ، ومنهجه ، وموارده في كتابه : الإصابة » . نشرته وزارة الأوقاف والشؤون الدينية العراقية ، سنة ١٩٧٨ م .

(١٩) هذا الخبر لا تعرف روايته عن غير هشام بن محمد بن السائب الكلبي الشعوبي (أنظر/ص ٢١) ، وإنما عُرِف مروياً عنه وحده . . معزواً إليه تارة كالذي ذكر هنا عن « فتح الباري » ، وغير مَعزُوّ إليه تارةً أخرى ، كالذي فعل محمد بن حبيب في « كتاب المنمق في أخبار قريش » حين ذكر (في ص ٥٣٠) « أسماء من قطعت قريش يده من قريش في السّرَق » ، ولم يذكر مأخذه . ونحن نعلم أن جُلّ مادته في المثالب خاصةً ، من ابن الكلبي هذا من غير ريب . ومحمد بن حبيب هذا ، من الموالي : موالي بني العباس ، مات سنة ٢٤٥ هـ . ومراد ابن الكلبي من تخصيص نفر من أبناء بيوتات قريش في الجاهلية باقتراف رذيلة السرقة ، تحقير لجملة قبيلة قريش التي هي في الذروة والسنام من العرب ، وهي قبيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومؤدّى تحقيرها تحقيره وتحقير العرب أجمع . وإسقاطهم ، وتكذيب ما رواه الترمذي في جامعه (٥١٩) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من « أن الله عز وجل اختار من الناس (العرب) ، واختار من العرب (مُضَرَ) ، ثم اختار من مضر (كنانة) ، ثم اختار من كنانة (قريشاً) ، ثم اختار من قريش (بني هاشم) ، ثم اختارني ممن (أنا) منه » . هــذا هدف (الشعوبيين) في جملة ما افتروه على العرب من المثالب .

(٢٠) ينظر التعليق (١٤) في (ص ٢١) .

(٢١) عبدالمطلب ـ قيل اسمه شيبة ، وعبدالمطلب لقب غلب عليه ، ابن هاشم ، بن عبد مناف : جد النبي عليه الصلاة والسلام ، وزعيم قريش ، وأحد سادات العرب . أنقذ وطنه « مكة » من غزو الحبشة ، وكان له شرف تربية حفيده النبي الأعظم . توفي سنة تسع من عام الفيل عن نحو ثمانين عاماً أو أكثر ، وللنبي يومئذ ثمانية أعوام في قول ، وثلاثة أعوام في قول آخر. ينظر تاريخ الطبري ٢/ ١٧٦ ،=

عليه وسلّم . وذكر مَنْ قُطِعَ في السَّرِقَة : (عَوْفَ بنُ[22] عبيد

= والسيرة لابن هشام ١/ ٥٧ ، وتاريخ اليعقوبي ١/ ٢٠٣ ، وتاريخ ابن الاثير ٢/ ٤، وتاريخ الخميس ١/ ٢٥٣ ، وعيون الأثر ١/ ٤١ ، وغير ذلك .

(٢٢) وقع في « كتاب المنمق في أخبار قريش » (ص ٥٣٠) : « مدرك بن عوف بن عبيد بن عمر بن مخزوم » ، يعني أن السارق هو ابن عوف ، وليس عوفاً . قال مؤلفه محمد بن حبيب ، وكلامه من هشام الكلبي السَّبَئِيّ : « سَرَق في الجاهلية مراراً ، فقطعت قريش يده ، ثم عاد فسرق ، فرجموه حتى مات ! » . وقد سمى محمد بن حبيب في المنمق جملة من قطعت قريش أيديهم من قريش في السرق ستة رجال ، وهم : « مدرك هذا ، ومقيس بن قيس الذي ورد في سياق نقل المؤلف ، والخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، ومليح بن شريح بن الحارث ابن السباق بن عبدالدار – قطعت يده في أمر غزال الكعبة ، وعبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم – قطعت يده في سرقة إبل ، ووابصة ابن خالد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم » . وذكرهم أيضاً في « المحبر » (ص٢٢٨) وزاد عليهم سابعاً ، وهو : عوف بن عُبَيْد ، وعزا الرواية الى هشام الكلبي . وهذا العدد الضئيل من قبيلة ضخمة تنتشر بطونها في الحجاز ، وتذهب في الأسفار القاصية بالتجارات بين الشام واليمن – لا تصيب جنايتهم في السَّرَق ، إن صدقت الرواية ، قريشاً أجمع ، فكل امرئ بما كسب رهين . وعقاب القبيلة لهؤلاء النفر بقطع الأيدي ، وبرجم واحد منهم عند معاودته السرقة ، إنما يقوم دليلاً على حفاظ (قريش) على الأخلاق الرفيعة ، وعلى حرصها على التمكين لها في النفوس ، خلافاً لما تريد الرواية الشعوبية تصويره من ضَعَتِها . والشعوبيون يعرفون هذا المعنى حق المعرفة ، ولا يغيب عنهم ، ولكنهم يتجاهلونه ، لأن غايتهم الطعن في العرب عامةً ، وقريش قبيلة النبي خاصة ، ظناً منهم أنهم يوهنون بذلك شأن العرب ، « والغاية عندهم تسوّغ الوسيلة » مهما كانت عليه من الوضاعة .

وقد عرض كتاب السيرة الشريفة الأوائل – كابن إسحاق وابن هشام : في الحديث عن « بنيان الكعبة وحكم رسول الله ، صلى الله عليه وسلّم » – لذكر كنز الكعبة وسرقته ، فلم يسمّوا سُرّاقه ، ولم يذكروا أحداً مّا من رجال قريش هؤلاء ، ولا غيرهم ، وإنما قالوا – والنص من مختصر كلام ابن اسحاق لابن هشام – : « إن نفراً سرقوا كنزاً للكعبة ، وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة ، وكان الذي وجد عنده الكنز (دويكاً) : مولى لبني مليح بن عمرو، من =

ابن عمـــر بن مخزوم) ، و (مِقْيَس[23] بْنَ قيس بنِ عَدِيّ بن سَعْد بن سَهْم) ،وغيرهما ؛ وأنّ (عوفاً) السّابق لذلك . و (مخزوم) هذا : ابنُ (يَقَظَةَ) ــ بفتح التّحتانيّة والقاف ، بعدها ظاء مُشالَة ــ ابْنِ مُرَّةَ ، بْنِ كعب ، بْنِ لُؤَيّ ، بْنِ غالب . و (مخزوم) أخو (كِلاب بن مُرَّةَ) الّذي نُسِب إليه (بنو عبدِ مَنَاف) .

= (خزَاعة) » . قال ابن هشام : « فقطَعَتْ قريش يده . وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند (دويك) » . قال العلامة السُّهَيْلي في « الروض الأُنُف » (١٣٠/١) : « وذكر ابن إسحاق (دويكاً) الذي سرق كنز الكعبة ، وقد تقدم أن سارقاً سرق من مالها في زمن (جُرْهُم) ، وأنه دخل البئر التي فيها كنزها ، فسقط عليه حجر ، فحبسه فيها حتى أخرج منها ، وانتزع المال منه . . » ، فتأمّلْ !

(٢٣) مِقْيَس ــ بوزن مِنْبَر ــ بن قيس ، بن عَدِيّ ، بن سعد ، بن سهم : هكذا ساق ابن الكلبي السَّبَئي نسبه في (كتاب المثالب) ، فيما نقله عنه الحافظ ابن حجر العسقلانيّ . وقد ذكره محمد بن حبيب في (المنمق) ثلاث مرات ، وجاء في أحدها (ص ٥٤) : « مقيس ــ كمغزل ــ بن عبد قيس ، بن قيس » بزيادة « عبد قيس » . وما أراها إلا من خطأ الناسخ ــ وقد زخر الغلط في طبعة هذا الكتاب ، فلينظر بحذر ــ . وهو رجل من أحد بيوتات أشراف قريش في الجاهلية . كان أبوه قيس بن عدي ــ كما في كتاب نسب قريش ٤٠١، والتبيين في نسب القرشيين ٤١٧ ــ « سيد قريش غير مدافَع » ، وأخوه الحارث بن قيس : كانت إليه الحكومة والأموال التي يسمّونها لآلهتهم ، ثم أسلم ، وهاجر مع بنيه الى الحبشة ، وكان أحد العشرة من عشرة بطون ، انتهت اليهم مكارم قريش في الجاهلية ، ثم أدركهم الإسلام فوصلها لهم . وقد قتل أكثر أبنائه في سبيل الله شهيداً . وذكر محمد بن حبيب في (المنمق) : (مقيس بن قيس) في عِداد أحد عشر رجلاً حرموا السكر والخمر والأزلام في الجاهلية من (قريش) ، وهم بحسب ترتيبه ولفظه : « عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف . وشيبة بن ربيعة بن =

أقول : ذكر في (شِفاء الغَرام)[٢٤] : « أنّ (عبدالمُطّلِب) علّقَ الغزالَيْنِ في « الكَعْبَة » ، فكان أوّلَ مَنْ علّق المعاليق في « الكَعْبَة » . ثُمَّ إنّ الغزالَيْن سُرِقا ، وابْتِيعا من قومٍ تِجارٍ[٢٥] قَدِمُوا « مَكّةَ » بخمرٍ وغيرها ، فاشتروا بثَمَنِهما خمراً . وقد ذكر أنّ (أبا لَهَبٍ)[٢٦] مع جماعته ، نَفِدَتْ خمرهم في بعض الأيّام ،

= عبد شمس – وكان يتحنّف بِحِراء . وورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى . وأبو أمية بن المغيرة والحارث بن عبيد المخزوميان . وزيد بن عمرو بن نفيل ابن عبد العُزّى العدوي – وكان يتحنّف بحراء ولا يأكل ما ذبح للأصنام . وعامر ابن حذيم الجُمَحيّ . وعبدالله بن جُدْعان التَّيْمِيّ . و (مقيس بن قيس بن عدي السهمي) . وعثمان بن عفان – رضي الله عنه – بن أبي العاص بن أميّة . والوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم » . وبهذا يهدم محمد بن حبيب ما حكاه في موضع آخر عن ابن الكلبي وإن لم يسمّه (ص ٥٤ المنمق) من أن « بيت مقيس بن قيس هذا كان مألفاً لشباب قريش ، ينفقون عنده ويشربون » ، وأنه « كانت له قينتان – أسماء وعثمة – تغنيان في بيته للرفقة ، وهم يشربون ويطربون » إلى آخر هذا اللغو الذي زَنّتْ به الشعوبيّةُ أشرافَ قريش في الجاهلية – ومنهم مِقْيَس هذا – من سرقة غزالي الكعبة وبيعهما ليشربوا الخمر ، كما سبق في التعليق (٢٢) .

(٢٤) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، لتقيّ الدين محمد بن أحمد الفاسي ، جزءان – ط . مصر ، ١٩٥٦ م .

(٢٥) تِجار ، وتُجّار : جمع تاجر ، وهو الحاذق بالأمر ، والعرب تسمي بائع الخمر تاجراً .

(٢٦) أبو لهب : هو عبد العُزّى بن عبدالمطلب بن هاشم ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان أحمر الوجه مشرقاً ، فقيل له في الجاهلية « أبو لهب » . كان أحد الأشراف الشجعان ، وكان غنياً عتيّاً ، كبر عليه أن يتبع ديناً جاء به ابن أخيه ، =

وأقبلت قافلة من « الشّام » معهم خمر ، فَسَرَقُوا الغزالَ ، واشتروا به خمراً . وطلبتها (قُرَيْشٌ) [٢٧] ، وكان أشدَّهُم طلباً (عبدُ الله بنُ جُدْعانَ) [٢٨] ، فعَلِمُوا بهم ، فقطعوا بعضهم ، وهَرَبَ بعضُهم . وكان فيمن هرَبَ (أبو لَهَبَ) ـ: هرب إلى أخواله من (خُزَاعَةَ) [٢٩] ، فمَنَعُوا عنه (قُرَيْشاً) ، ومن ثَمَّ كان يقالُ لِـ (أبي لَهَبٍ) : سارقَ غزالِ الكَعْبة . » انتهى .

= فآذاه وآذى أنصاره ، وحرض عليهم وقاتلهم ، وفيه نزلت سورة المَسَد : (بسم الله الرحمن الرحيم . تَبَّتْ يدا أبي لَهَبٍ وتَبَّ ، ما أغنى عنه ماله وما كَسَبَ . . .) . مات أبو لهب بعد وقعة بدر بأيّام ، ولم يشهدها . وأخباره في التفاسير ، وكتب السيرة والتواريخ والأنساب . وقد ذكر بعضها في الأعلام ٤ / ١٣٥ ، ط ٢ .

(٢٧) ينظر الكتاب الملحق بهذه الدراسة .

(٢٨) عبدالله بن جُدْعان (بضم الجيم وسكون الدال المهملة) ، أبو زهير : رئيس بني تَيْم في عصره ، وأحد أجواد العرب المطعِمين المُمَدَّحين ، ابن عم الصديقة عائشة رضي الله عنها . أدرك النبي ، عليه الصلاة والسلام ، وسار بجوده المثل قبل النبوة . وكان يسمى بـ (حاسي الذهب) ؛ لأنه كان يشرب في إناء من الذهب ، وقالوا « أقرى من حاسي الذهب » . وكان يطعم الطعام ، ويقري الضيوف ، ويفعل المعروف . وكان ممن حرم الخمر بعد أن كان بها مُغْرًى . أخباره في الأغاني ٣ ، و ٤ ، و ٨ ، و ٩ ، و ١٩ ، وطبقات الجمحي ٢٢٢ ، والمحبر ١٣٧ ، والمنمق (ينظر فهرست الكتاب) ، وتاريخ اليعقوبي ١/ ٢١٥ ، والتبيين في أنساب القرشيين ٣٠٢ ، ونسب قريش وأخبارها ، وخزانة الأدب ٥٣٧/٣ ، وبلوغ الأرب ١ / ٨٧ ــ ٩٠ ط ٢ .

(٢٩) خزاعة ، بضم الخاء المعجمة وتخفيف الزاي : قبيلة كبيرة من الأَزْد ، من القحطانية ، وهم بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقياء . وعمرو هذا أبو خزاعة كلها ، ومنه تفرقت بطونها . . وقال القاضي عياض : المعروف في نسب خزاعة أنه عمرو بن لُحَيّ بن قمعة بن إلياس بن مضر ، وإنّما عامر ، عم أبيه ، =

وفي « كتـاب تاريخ مكّة [٣٠] » للأَزْرَقِيّ [٣١] ــ بعدَ أَنْ ذكر حَفْرَ (عبدِ المُطّلِب) « بِئْرَ زَمْزَمَ [٣٢] » ، وما وَجَده مدفوناً فيهـا

= أخو قمعة . وسموا خزاعة بهذا الاسم لأنهم لما ساروا مع قومهـم من (مأرب) ، فانتهوا الى (مكة) تخزّعوا عنهم ، أي : تخلفوا ، فأقاموا ، وحالفوا قريشاً ، وسار الآخرون الى الشام . وكانت لهم ولاية البيت الحرام بعد « جُرْهُم » ، وكانت مدة ولايتهم ثلاث مئة سنة فيما ذكر المسعودي . وفي العراق اليوم بقية منهم يقال لهم (الخزاعل) ، وهو محرف عن (خزاعة) كما قرر المؤلف رحمه الله في كتابه (أخبار بغداد وما والاها من البلاد) .

(٣٠) هو (أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار) ، وقد نشره المستعرب الألماني « هنري فرديننd فِستِنْفِلْد » (H. F, Wustenfeld) في سنة ١٢٧٥ هـ =١٨٥٨ م ، وصدره بمقدمة تاريخية ، باللغة الألمانية ، في ٢٥ صفحة ، أفاض فيها في مؤلفه أبي الوليد الأزرقي وكتابه هذا . ووجد صديقنا الأستاذ رشدي الصالح ملحس الكتاب مشحوناً بالتحريف والتصحيف ، فحققه تحقيقاً جيداً ، وكتب له مقدمة مفيدة ، وطبعه بمكة في سنة ١٣٥٢ هـ . وظهرت له طبعة جديدة في بيروت « دار الأندلس » .

(٣١) هو أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أبي الوليد أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني : مؤرخ يماني الأصل . ولد في مكة المكرمة في المئة الثانية للهجرة ، ولم يحدد تاريخ مولده . وتوفي في المئة الثالثة . واختلف المؤرخون في تعيين سنة وفاته ، واستوفى ذلك رشدي الصالح ملحس في مقدمته لكتاب المترجم له ، والزركلي في الأعلام ٩٣/٧ ، ط ٢ . وقد ترجمه محمد بن اسحاق النديم في « الفهرست » ، وشمس الدين محمد بن عمر المغربي التونسي في « دستور الإعلام بمعارف الأعلام » (من مخطوطات مكتبة الحرم المكي) ، وتقي الدين الفاسي في « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » ، وغيرهم .

(٣٢) هي البئر المباركة المشهورة في المسجد الحرام بمكة المكرمة ، سميت (زمزم) =

من السُّيُوف والغَزالَيْن وغير ذلك ، قال : « ضرب (عبدالمُطّلِب) الأَسْيافَ على باب « الكَعْبَة » ، وضرب فوقَه أحدَ الغزالَيْن من الذَّهَب ، فكان [ذلك] أوّلَ ذهبٍ حُلِّيَتْهُ « الكَعْبَةُ » ؛ وجعل الغزال الآخرَ في بطن « الكَعْبة » ، في الجُبِّ[٣٣] الّذي كان فيها يُجْعَلُ فيه ما يُهْدَى إلى « الكَعْبَة » . وكان « هُبَل[٣٤] » صَنَمُ (قُرَيْش) ، في بطن « الكَعْبَة » ، على الجُبّ . فلم يَزَلِ الغزال في « الكَعْبَة » ، حتّى أخذَه النّفرُ الّذين كان من أمرهم ما كان » . قال : « وهو مكتوب أخذه ، وقِصّتُه في غير هذا الموضع . »[٣٥] انتهى .

ومنه يعلم أنّ المسروق غزالٌ واحد[٣٦] ، لا كما ذُكِر في (شفاء الغَرام) . وتفصيل هذه القِصّة ، في التاريخ وكتب السِّيَر .

❋ ★ ❋

= لكثرة مائها، يقال : ماء زمزم وزُمازم ، أي كثير ، وقيل : هو عَلَم مرتجل ، وقيل غير ذلك ، والكلام في حفرها وما يقال فيها كثير ومستفيض في تواريخ مكة .

(٣٣) من معاني « الجُبّ » : رَكِيّة أي « بئر » تُجاب « تقطع » في الصفا « الصخر » . وفي كتاب أخبار مكة للأزرقي ١/ ٢٤٤ عن مجاهد ، قال : « كان في الكعبة على يمين من دخلها جُبّ عميق ، حفره ابراهيم خليل الرحمان واسماعيل عليهما السلام حين رفع القواعد ، وكان يكون فيه ما يهدى للكعبة من حلي أو ذهب أو فضّة أو طيب أو غير ذلك » .

(٣٤) هُبَلُ ـ غير مصروف ، معدول عن هابل ـ : صنم كان في الكعبة لقريش ، وفي حديث أبي سفيان قال يوم أُحُد : « أعلِ هُبَلُ » أي أعلِ دينك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أعلى وأجلُّ » .

(٣٥) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، ط ـ مكة ، ٢/ ٤٧ و ١/ ٤٧ منه أيضاً .

(٣٦) ينظر التعليق (٢٢) .

ومن عقوباتهم وحدودهم (قتلُ الزّاني) :

والزِّنَى[٣٧] ، كان عنـدهم من أعظم المُنكَرات ، وأفظعِ المعاصي وأشنعِها . فلذلك جَعَلُوا عقوبته إزهـاقَ الرُّوح[٣٨] ، والقتلَ الّذي هو أعظم الحدود .

ومن شواهد ذلك مـا كان من (النُّعمان بْنِ المُنْذِر) [٣٩] من قتل

(٣٧) الزنى ، والزناء : قال اللحياني — : « الزنى ، مقصور : لغة أهل الحجاز ، قال الله تعالى : (ولا تَقْرَبُوا الزِّنى) بالقصر . والنسبة الى المقصور : زِنَوِيّ . والزِّناء ، ممدود : لغة بني تَميم » . وفي الصحاح : المدّ لأهل نجد ، والنسبة الى الممدود : زِنائي .

(٣٨) ازهاق الروح : استخراجه ، والأصل في الزهوق الخروج بصعوبة .

(٣٩) هو النعمان (الثالث) بن المنذر (الرابع) اللخمي ، أبو قابوس : من أشهر ملوك الحيرة قبل الإسلام . ملك الحيرة إرثاً عن أبيه نحو سنة ٥٩٢ م . وكانت تابعة للفرس الساسانيين الذين غلبوا على العراق وبغوا على أهله ، فأقرّه عليها كسرى ، فاستمر الى أن نقم عليه أبرويز أمراً ، فعزله ، ونفاه إلى خانقين ، أو المدائن ، فسجن فيها الى أن مات . وقيل : ألقاه تحت أرجل الفيلة ، فوطئته ، فهلك . وكان مقتله — فيما يقال — سبب يوم ذي قار الذي هزمت فيه بكر بن وائل جموع الأعاجم وجيوش فارس ، وقال فيه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ، وبي انتصروا » . وذوقار : ماء لبكر متاخم لسواد العراق . وقد تغنى بهذا اليوم أبو تمام مراراً في شعره ، فقال يمدح أبا دُلَف العِجْلِيّ :

اذا افتخرت يوماً تميم بقوسها ... وزادت على ما وطّدتْ من مناقب

فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس (حاجب)

وحاحب هو : (حاجب بن زرارة التميمي) .

وقال يمدح خالد بن يزيد بن مَزْيَد الشّيبانيّ :

أُلاك بنو الإفضال لولا فعالهم ... دَرَجْنَ فلم يوجد لمكرمة عقْبُ

لهم (يوم ذي قار) مضى وهو مفرد ... وحيد من الأشباه ليس له صحبُ =

(المُتَجَرِّدة[٤٠]) و (المُنَخّل العَبْدِيّ)[٤١] لمّـا اطّلع على ما كان من أمرهما . وأراد قتلَ (النّابغة الذُّبْياني)[٤٢] لمّا تعرّضَ في قصيدته الدّاليّة

= به علمت صُهْبُ (الأعاجم) أنه به أعربت عن ذات أنفُسها (العُرْبُ)
هــو المشهد الفرد الذي مانجا به لـ (كسرى بن كسرى) لاسَنامٌ ولا صُلْبُ !

(٤٠) اسم زوج النعمان بن المنذر ، وقد نسج الشعوبيّون عليها مفتريات ، لإسقاط مكانة زوجها في النفوس ، إذ تَأبّى على أبرويز أن يصاهره ، فقتله .

(٤١) المشهور هو (المُنَخّل اليشكُرِيّ) . أما (العبديّ) ، فأراه في الأصل المنقول عنه (العبيديّ) نسبة الى أبيـه (عُبَيْد) اذا صّح ما جـاء في « الشعر والشعـراء » (ص ٤٠٤) . غير أن المتعارف إنما هو النسبة الى القبيلة . وفي الأغاني (٩/ ١٥٨) و (١٨/ ١٥٢) روايات عدة في اسمي أبيه وجده . والمنخل شاعر جاهلي ، من بني يشكر ، كان ينادم النعمان بن المنذر . وتزعم رواية أنه كان يحسد النابغة الذبياني ، لاستخلاص النعمان له ، فأغراه أن يصف (المتجردة) زوج النعمان ، إيقاعاً به . فوصفها وأسرف في الوصف حتى ذكر ما يستقبح ذكره . فدرج بينهما بالسعاية في ذلك . وشبب المُنَخّل بهند بنت عمرو بن هند ، أو أخته ، وقال فيها قصيدته المشهورة :

إن كنت ، عاذلتي فسيري نحوَ (العـراق) ولا تحوري

وبلغ خبرها عَمْراً ، فأخذ المنخل فقتله . وزعمت رواية شعوبية أن النعمان بن المنذر هو الذي قتله . . اتهمه بامرأته « المتجردة » فحبسه ، ثم غمض خبره . وقيل : إنه أرسله في طريق ، فلم يعد منها ، فضرب به المثل ، وقيل : « حتى يؤوب المنخل » كما قيل في القارِظَيْن: « حتى يؤوب القارظان » ، وفي المثلّم : « حتى يؤوب المثلم » ، وفي نشيط : « حتى يجيء نشيط من مرو» . وزعمُ اتهام المنخّل بالمتجردة امرأة النعمان ، إضافة رواية شعوبية ثانية إلى النابغة الذبياني ، كما سأشير إليها في ترجمته بعدُ .

(٤٢) هو زياد بن معاوية ، من بني ذبيان من قيس ، أحد شعراء المعلقات السبع أو العشر ، وكان أحسنهم ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام .. نبغ بالشعر بعد ما احتنك ، =

المشهورة لوصف حرمه ؛ ثُمَّ اعتذر منه بعِدَّة قصائدَ ، فعفا عنه .

وقِصَّةُ (صَخْرٍ)[٤٣] الشَّاعرِ الشَّهير ، لمَّا توسَّمَ في زوجته الميلَ إلى غيره ، وكان مريضاً ، وهي مشهورة .

= وصار يفد على المناذرة في الحيرة ، وعلى الغساسنة في الشام ، ويمدحهم ، فيكرمونه ويحسنون وفادته . واستخلصه النعمان (الثالث) بن المنذر (الرابع) لنفسه ، وجعله من ندمائه ، وأسبغ نعمته عليه ، فحسدته بطانته ، وبلغته عنه شيئاً ، فنذر دمه ، فأحس وهرب الى الشام لائذاً بملوك غسان . وقد صيغت في سبب سخط النعمان عليه روايات عدة متضاربة ومبتسرة ، ولا سيما خبر اتهامه بالمتجردة زوج النعمان ، فانه من وضع الرواة الشعوبيين ولا ريب . والحقيقة هي أن حساد النابغة على مكانته عند النعمان بلغوا النعمان اتصاله سراً بملوك غسان خصوم المناذرة السياسيين ومنافسيهم على الملك : يمدحهم ، ويمالئهم عليه ، ويمهد لهم في بلد المناذرة ، فسخط النعمان عليه لذلك . ويؤيد هذا تنصله في « اعتذارياته » للنعمان مما رمي به من ذلك ، وقد احتج فيها بأنه لم يمدح ملوك الغساسنة إلا لأنهم قد أحسنوا اليه قديماً ، وحكموه في أموالهم ، فشكر لهم صنيعهم ، وهذا الشكر لا يصلح أن يكون خيانة يعاقبه النعمان عليها . وأقام عليه الحجة بأنه هو (أي النعمان) نفسه يصطنع قوماً ويحسن اليهم ، فيشكرون له ذلك ، فلا يرى هذا الشكر ذنباً . وقد استلت هذه الحجة سخيمة النعمان ، فأذن له بالعودة اليه ، فعاد موفور الكرامة ، وما زال يتفيأ في ظلال نعمته حتى اخترُمَ في السنة التي قتل فيها أبرويز الساساني النعمانَ ، وذلك قبل الهجرة بنحو ثمانية عشر عاماً .

(٤٣) هو صخر بن عمرو بن الشريد السُّلَمي ، أخو الشاعرة المشهورة « الخنساء » . كان شريفاً في بني سُلَيْم . وخبره مع زوجه الذي أشار إليه المؤلف رحمه الله ، ليس فيه ما يدلّ على ميلها إلى غيره . ولكن فيه ما يشير الى بَرَمِها بطول مرضه من جرح رَغيب (واسع) في جنبه أصابه في غزاته لبني أسد بن خزيمة ، فمرض منه قريباً من الحَوْل حتى ملّه أهله ، وعاده قومه ، فكانوا اذا سألوا امرأته سلمى عنه قالت : « لا هو حيّ فيرجى ، ولا هو ميت فينسى » . وصخرٌ يسمع كلامها . فشق عليه ذلك . واذا قالوا لأمه: كيف صخر اليوم؟ قالت : « أصبح =

و (ذوات الرّايات)[٤٤] ، لم يكنّ من العرب ، بل كُنّ إماءً . وكان مذهبهم في الإماء غيرَ مذهبهم في الحرائر .

ولمّا أخذَ الشّارع البَيْعَةَ عليهنّ ، شرَطَ عليهنّ أنْ لا يزْنينَ . فقالت (هِنــد بنت عُتْبَةَ)[٤٥] متعجِّبَةً : « وهل تَزْني الحُرَّة ؟ ! » .

= صالحاً بنعمة الله . أو قالت : أرجو له العافية إن شاء الله . والخبر في « الشعر والشعراء » ٣٤٤/ ٣٤٥ ، « ونهــاية الأرب » للنويريّ ١٥/ ٣٦٨ ، وخزانة البغدادي ١/ ٢٠٩ ـ وفيه (١) : أنه « لما أفاق من علّته بعضَ الإفاقة ، عمد الى امرأته سلمى فعلقها بعمود الفسطاط حتى ماتت » . (٢) « بل قال : ناولوني سيفي لِأنظر كيف قوّتي ، وأراد قتلَها . وناولوه إياه ، فلم يطق السيف » . وهذا الشق الثاني هو الصحيح بِآيةِ ما قال من الشعر فيه :

أرى (أمَّ صَخْر) ما تَمَلُّ عِيادتي ... وملّتْ (سُلَيْمَى) مضجَعي ومكاني
وما كنت أخشى أن أكون جِنازةً ... عليكِ ، ومن يغترُّ بالحدَثان ؟
فأيّ امرئٍ ساوَى بأمٍ حَليلــةً ... فلا عاشَ إلا في أذى وهَوانِ
أَهُمُّ بأمرِ الحزمِ لو أَستطيعُــهُ ... وقد حِيلَ بين العَيْر والنّزَوانِ
لَعَمْري لقد أنبهت من كان نائماً ... وأسمعتُ مَن كانت له أذنــانِ

هذا ، وزوج الشاعر لم تقترف إثماً ، غير ما استشعره من بَرَمِها بطول مرضه في قولها لعائديه : « لا هو حيّ فيرجى ، ولا ميت فينسى » ، فآلمه أن تقول هذا ، ولا ترجو له العافية كما ترجوها له أمه .

(٤٤) هن ، فيما زعم بعض الرواة ، إماء بغايا كنّ ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً ، فمن أرادهن دخل عليهن . . وقد ساق هشام الكلبي السبئي في « كتاب المثالب » أساميهن ، فسمى منهن أكثر من عشر نسوة ، (ينظر الكتاب الملحق) .

(٤٥) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف : صحابيّة ، قُرَشية ، عالية النسب والأدب ، شاعرة فصيحة تقول الشعر الجيد . تزوجها أبو سفيان بن حرب ، وولدت له معاوية أحد كتاب الوحي للنبي عليه الصلاة والسلام . أسلمت يوم فتح مكة ، وبايعت بعد إسلام زوجها أبي سفيان . ولما أخذ النبي عليه الصلاة والسلام =

وكان النِّكاح في الْجاهليّة على عشرة أَنْحاء[٤٦] ، ولِـ (ابْنِ الكلبيّ) كتاب في « مناكح أزواج العرب »[٤٧] .

ولو كان الزِّنَى عندَهُم مباحاً ، لم يكن عَقْدُ النِّكاح عندَهُم مشروعاً .

والشّعر المشتمل على حدّ الزّاني بالقتل كثير ، لو تتبّعناه واسْتَقْرَيْنَاه ، لم يَسَعْهُ المقام .

★ ★ ★

ومن عقوباتهم (القِصاص[٤٧]) :

وهو من أحكام الْجاهليّة ، الّتي وافقت حكم الإسلام ، على تفصيلٍ لم يكن في الْجاهليّة : كالقتل العَمْد ، وشِبْه العَمْد ، والخطأ ، وشِبْه الخطأ . ولكُلٍّ ، حكمٌ مذكور في كتب الفقه والحديث والتّفسير .

ومن شواهد القِصاص عندَهُم ، قولُهم المشهورُ الّذي هو أبلَغ كلام عندَهُم وأوجَزُه ، وهو : « القتلُ أَنْفَى للقتل »[٤٨] .

= البيعة على النساء ، وتلا عليهن قوله تعالى : (ولا يَسْرِقْنَ ولا يزنين . .) الآية ١٢ / الممتحنة ، قالت هند : وهل تزني الحرة أو تسرق ، يا رسول الله ؟ وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه . طبقات ابن سعد ٨/ ١٧٠ ، أسد الغابة ٥/ ٥٦٢ ، الروض الأنف ٢/ ٢٧٧ ، الإصابة : ت ١١٠٣ ، الاستيعاب ، بحاشيتها ٣/٤٠٩ ، التبيين في أسماء القرشيين ١٨٩ ، الأغاني « فهرسه » ، خزانة البغدادي ١/ ٥٥٦ ، مجمع الزوائد ٩/ ٢٦٤ ، نهاية الأرب للنويري ١٧/ ١٠٠ و ٣٠٧ و ٣١٠ ، الدر المنثور ٥٣٧ ، رغبة الآمل ٣/ ٧٨ .

(٤٦) ينظر « الكتاب الملحق بآخرهذه الدراسة .

(٤٧) ذكره محمد بن إسحاق النّديم في كتابه « الفهرست » (١٤٧ ، ط . مصر ، ١٣٤٨ هـ) ، بين « كتب هِشام الكلبيّ فيما قارب الإسلامَ من أمر الجاهلية » ، باسمِ : « كتاب مناكح أزواج العرب » .

(٤٨) ينظر الكتاب الملحق بآخر هذه الدراسة .

غيرَ أَنَّ القِصاص عندَهُم ، لم يكن كما ورد في الشّريعة : (النّفْسَ بالنّفْسَ ، والعَيْنَ بالعَيْنِ ، والأَنْفَ بالأنْفِ ، والأُذُنَ بالأُذُن ، والسِّنَّ بالسِّنِّ ، والجُرُوحَ قِصاصٌ)(٤٩) .

بل رُبّما قتَلُوا بالواحد جَمْعاً(٥٠) . ومن شواهدِ ذلك ، قِصّةُ (كُلَيْب)(٥١) المشهورة .

---

(٤٩) الآية ٤٥ من سورة المائدة ، وهي بتمامها : (وكتبنا عليهم فيها : أَنَّ النّفْس بالنّفْس ، والعَيْنَ بالعَيْنِ ، والأَنْفَ بالأَنْفَ ، والأُذُنَ بِالأُذُنِ ، والسِّنَّ بالسِّنّ ، والجُرُوحَ قِصاصٌ . فَمَنْ تَصَدَّقَ به فَهُوَ كَفّارةٌ له . ومَنْ لم يحكُمْ بِما أنزل اللهُ فأولئِك هُمُ الظّالمونَ) .

(٥٠) قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٣٧/٢٠) : « كانت العرب إذا قتل الرجل الآخر حمي قبيلاهما وتقاتلوا . وكان ذلك داعياً إلى قتل العدد الكثير . فلما شرع الله القصاص ، قنع الكل به ، وتركوا الاقتتال ، فلهم في ذلك حياة » .

(٥١) هو كليب بن ربيعة بن الحارث التغلبي الوائلي : سيد الحَيّيْن « بكر » و « تغلب » قبل الإسلام . تشبه بالملوك في امتداد السلطة . كانت منازله في نجد وأطرافها ، وبلغ من عزّه أنه كان يحمي الكَلأَ ، فلا يُقْرَب حِماه . ومن أمثالهم : « هو في حمى كليب » لمن كان آمناً ، قال الرواة : إنه قاد مَعَدّاً كلّها ، ففض جموع اليمن وهزمهم ، فاجتمعت عليه « معدّ » كلها ، وجعلوا له قسم الملِك وتاجه وتحيته وطاعته . فغبَر بذلك حيناً من دهره ، ثم دخله زَهْوٌ شديد ، وبغى على قومه . . فقتله جساس بن مرة البكري الوائلي ، وكان أخا زوجة كليب ، فثارت « حرب البسوس » أطول حرب عرفت قبل الإسلام بين بكر وتغلب ، زعم الرواة أنها بلغت أربعين عاماً . وخبره وخبر هذه الحرب في : ـ العقد ، والأغاني ـ وحكايته عن هشام الكلبي الوضاع الشعوبي كما ذكره المؤلف في بلوغ الأرب (٢/ ١٥٠ وما بعدها) .

والهامَةُ (٥٢) عنـدَهُم طائر ، يتولّد من روح المقتول، يكون على قبره ، ولم يزَل يصيحُ ويقول : « إسقُوني . اسقُوني ! » حتّى يُؤخَذَ بثأره .

★ ★ ★

ومن عقوباتهم (إعطاء دِيَةِ القتيل)(٥٣) :

وهي مِئة من الإبِل . وكانوا يأنَفُون مِن أخذها . ويعيّرون مَن يرضَى بها . وفي ذلك شعر كثير ، منه قول (مُرّةَ بن عَدّاء الفَقْعَسِي) :(٥٤) .

(٥٢) قال المسعودي في « مروج الذهب » : « من العرب من يزعم أن النفس طائر ينبسط في الجسم . فإذا مات الإنسان ، أو قُتِل ، لم يزل يطيف به مستوحشاً يصدح على قبره . ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيراً ، ثم يكبر حتى يكون كضرب من البوم . وهو أبداً مستوحش ، ويوجد في الديار المعطلة ومصارع القتلى والقبور ، وأنها لم تزل عند ولد الميت ومخلفه ، لتعلم ما يكون بعده فتخبره » . وقيل : الهامة أنثى الصَّدَى ، وهو ذكر البوم . وقد يسمونها الصدى ، والجمع أصداء . وقد نفى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، توهم « الهامة » ، ونهى عنها . غير أن هذا الوهم ما برح شائعاً يتردد في أشعار الإسلاميين أمثال قيس بن الملوح صاحب ليلى العامرية، وتوبة بن الحميّر صاحب ليلى الأخيلية ، وحُمَيْد بن ثور . وفي هذه الخرافة كلام طويل ، ينظر في : نهاية الأرب ٣/ ١٢١ ، ولسان العرب ، وتاج العروس (ه/و/ م) ، وشرح المفضليات ١٥٧٢ ، وبلوغ الأرب ٢/ ٣١١.

(٥٣) الدِّيَةُ ، بتخفيف الياء : حقّ القتيل ، وأصلها « وَدْيَة » بفتح الواو وسكون الدال ، تقول : وَدَى القتيل يَدِيه وَدْياً ودِيَةً ، إذا أعطى وليّه دِيَتَهُ ، وهي ما يجعل في مقابل النفس ، وسمّي ديةً تسمية بالمصدر ، وفاؤها (أي أولها وهو الواو) محذوفة ، والهاء عوض من الواو ، وفي الأمر : « دِ القتيلَ » بدال مكسورة حَسْبُ . فإنْ وقفتَ ، قلت : دِهْ ، وللاثنين : « دِيا » ، وللجماعة : « دُوا فلاناً » . واتّدى : أخذ دِيَتَهُ .

(٥٤) الفقعسي : نسبة الى فَقْعَس بن طريف أبي حيّ من أسد . وأبياته هي الحماسية =

رأيتُ مَواليَّ الأُلى يخذُلونَني
على حَدَثانِ الدَّهرِ إذْ يتقلّبُ (٥٥)
فهلّا أعدّوني لمثلي ـ تفاقدوا ـ
إذِ الخصْمُ أبزَى مائلُ الرّأسِ أنكبُ (٥٦)
وهلّا أعدّوني لمثلي ـ تفاقدوا ـ
وفي الأرضِ مبثوثٌ شُجاعٌ وعقربُ (٥٧)
فلا تأخُذوا عقْلاً من القوم ، إنّني
أرى العارَ يبقى ، والمعاقِلَ تذهبُ (٥٨)

= الخمسون في « ديوان الحماسة » اختيار أبي تمام ، وعدتها فيه خمسة أبيات ، وخامسها قوله :

كأنك لم تُسبَقُ من الدهر ليلةً ... اذا أنت أدركتَ الذي كنت تطلبُ

وسيأتي مستقلاً بعد قليل .

(٥٥) الموالي ، هاهنا : أبناء العم . ـ والألى : بمعنى الذين .

(٥٦) تفاقدوا : فقد بعضهم بعضاً ، دعاءٌ عليهم ، اعترض بين أول الكلام وآخره . ـ أبزى : البَزَى انحناء الظهر عند العَجزُ في أصل القَطَن ، ، وقيل : هو إشراف وسط الظهر على الاسْت ، وقيل : هو خروج الصدر ودخول الظهر ، وقيل : هو أن يتأخر العجز ويخرُج . يقال : بَزِي يبزَى بزى ، وبزا يبزو بزءاً ، وهو أبزى . والأنثى بزْواء ، وأبزى الرجل يُبزي إبزاءً إذا رفع عَجزُه ، وتبازَى مثله . ـ الأنكب : أفعل ، من النكَب ـ بفتحتين ، وهو شبه الميل في المشي ، ومنه الأنكب من الابل ، وهو الذي يمشي في شقّ .

(٥٧) الشُّجاع والشِّجاع ، بالضم وبالكسر : قال شَمِرٌ في كتاب الحيّات : هو ضرب من الحيّات لطيف دقيق ، وهو ـ فيما زعموا ـ أجرؤها . وقال غيره : الشجاع الحية الذكر ، وقيل : هو الحية مطلقاً ، والجمع أشجِعة وشُجْعان وشِجعان . كنى الشاعر به وبالعقرب عن الأعداء والشّرّ .

(٥٨) الدِّية (ينظر التعليق ٥٣) . وسميت الدِّية « عقلاً » تسمية بالمصدر ، لأن الإبل التي هي دية القتيل كانت تعقل بِفِناء وليّ القتيل ، ثم كثر الاستعمال حتى أطلق=

وحكى (الأَصْمَعِيُّ) (٥٩) : « صار دَمُهُ مَعْقُلَةً على قومه (٦٠) » ، أي : صاروا يَدُونَهُ .

وكان أخذُ الدِّيَة عندَهُم من أشدّ العار ، كما سبق . قال قائلهم :

إذا صُبَّ ما في الوَطبْ ، فاعْلَمْ بأنّه
دَمُ الشّيخِ ، فَاشْرَبْ من دَمِ الشّيْخِ ،أوْ دَعا (٦١)

= العقل على الدية ولم تكن إبلاً ، كما قرره الحافظ ابن حجر العسقلاني في « باب العاقلة » من « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » . وقال في « العاقلة » : هي قرابات الرجل من قبل الأب ، وهم عصبته ، وهم الذين كانوا يعقلون الإبل على باب ولي المقتول . وتحمل العاقلة الدية ثابت بالسنة ، وأجمع أهل العلم على ذلك ، قال : وهومخالف لظاهر قوله تعالى: (ولا تَزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أُخْرى) . لكنه خُصّ من عمومها ، لِما فيه من المصلحة ؛ لأن القاتل لو أُخذ بالدية ، لأوشك أن تأتي على جميع ماله ؛ لأن تتابع الخطأ منه لا يؤمن ، ولو تُرِك بغير تغريم لأهدر دم المقتول . . وعاقلة الرجل عشيرته ، فيبدأ بفخذه الأدنى ، فإن عجزوا ضُمّ اليهم الأقرب اليهم ، وهي على الرجال الأحرار البالغين ذوي اليسار منهم .

(٥٩) عبدالملك بن قُرَيب بن علي بن أصمع الباهلي ، أبو سعيد : أحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان . مولده سنة ١٢٢ هـ بالبصرة ، ووفاته فيها سنة ٢١٦ هـ . ولعبدالله ابن أحمد الربعي كتاب « المنتقى من أخبار الأصمعي – ط » غير تام ، وفي مقدمته ترجمة له وافية وكثير من أخباره . ومصادر ترجمته كثيرة ذكرها الزركلي في الأعلام ٣٠٧/٤ – ٣٠٨ ، ط ٢ ، ومحقق « إنباه الرواة » في ترجمته .

(٦٠) أي صار غُرْماً يؤدّونه من أموالهم . وبنو فلان على مَعاقلهم الأولى من الدية ، أي : حال الديات التي كانت في الجاهلية ، يؤدونها كما كانوا يؤدونها في الجاهلية ، وعلى معاقلهم أيضاً ، أي : على مراتب آبائهم ، وأصله من ذلك ، واحدتها مَعْقُلَة ، بضم القاف .

(٦١) الوَطْب : سقاء اللّبَن خاصة ، وهو جلد الجَذَع فما فوقه . وقد وصفه حُمَيْد ابن ثور باثني عشر بيتاً ، واستحسن النقاد وصفه ، وهي في « الشعر والشعراء » =

يقول : إنَّ الّذي تشرَبُونه من لبن الإبِل ، الّتي أخذتموها في دِيَةِ شيخكم ، إنّما هو دَمُهُ تشرَبُونه .

وقال آخَرُ لرجلٍ أخذ الدِّيَةَ تمراً :

فَظَلَّ يصونُ التّمْرَ ، والتّمْرُ مُنْقَعٌ (٦٢)
بِوَرْدٍ كلَوْنِ الأُرْجُوانِ سَبائِبُهْ (٦٣)

وقال (مُرَّةُ)(٦٤) :

= (٣٩٢ ـ ٣٩٣) . ـ دَعْ : اترك ، والألف في آخره مقلوبة من نون التوكيد الخفيفة . والتعيير عند العرب بأخذ الدية دون الأخذ بالثأر ، كثير في أشعار شعرائهم ، وقد ذكر أبو عثمان الأشناندا ني في « كتاب معاني الشعر » قدراً منها غير يسير ، لم يرد في هذا البحث .

(٦٢) مثل هذا المعنى قول الآخر :

أبا العوف إن الشَّول ينقع رسلها ولكن دم الثأر النميريّ أنقعُ

يعيره بأخذ الدية . والرسل : اللبن ، يقول : ولكن دم ثأرك أروى لك .

وقول الآخر :

فلا و (إسافٍ) لا ينال هَدِيُّنا ولما تروا نَعْلَ (ابن سعدى) تُقَطَّعُ
ولما تَقُلْ خالاتُنا : لَدِماؤنا هي الماء للصديان ، بل هي أنقع

وتفسيره في « كتاب معاني الشعر » (ص ٩٤) .

(٦٣) بوردٍ : بلون وَرْد ، أي : أحمر يضرب الى صفرة حسنة في كل شيء . ـ الأُرْجوان : الأحمر ، والحُمرة . . وحكى السيرافيّ : أحمر أرجوان ، على المبالغة به ، كما قالوا : أحمر قانيْ ، وذلك لأن سيبويه إنما مَثّل به في الصفة ، فإما أن يكون على المبالغة التي ذهب اليها السيرافيّ ، وإمّا أن يريد الأرجوان الذي هو الأحمر مطلقاً . ـ السبائب : الخُصَل من الشعر ، والمراد خصل التمر في العثاكيل ، الواحدة سبيب وسبيبة .

(٦٤) هو مُرّة بن عدّاء الفَقْعَسيّ ، من بني فَقْعَس بن طَرِيف أبي حيّ من أسد .

كأنَّكَ لم تُسْبَقْ من الدّهرِ ليلةً
إذا أَنتَ أدركتَ الّذي كنتَ تطلُبُ

يقول : مَن أدرك ما طلبه مِن الثّأر ، فكأنّه لم يُصَبْ ، ولم يُوتَرْ[65] .
وهذا بعثٌ على طلب الدّم .

ومثلُه ، غيرَ أنّه بعثٌ على طلب المال :

كأنّ الفتى لم يَعْرَ يوماً إذا اكتسى
ولم يَكُ في بُؤْسٍ إذا ما تَمَوَّلا[66]

وقال آخَرُ في التّنفير عن الدِّيَة[67] :

فلو أنّ حَيّاً يقبَلُ المالَ فِدْيَةً
لَسُقْنا لهم سَيْلاً من المال مُفْعَما[68]

(٦٥) وَتَرَه يَتِرُهُ وَتْراً وتِرَةً : قتل حميمه ، و ـ أصابه بمكروه ، والموتور : الذي قُتِل له حميم ، فلم يدرك بدمه . وفي حديث محمد بن مسلمة : أنا الموتور الثائر ، أي : صاحب الوَتْر المطالب بالثأر .

(٦٦) أورده المَرْزُوقي في شرح ديوان الحماسة ١/٢٦٥ غير منسوب ، وكذلك فعل الخطيب التبريزي أيضاً في شرحه ، مع أنه من الحماسية الخامسة والتسعين في ديوان الحماسة . وقد نسبها أبو تمام الى جابر بن ثعلب ، أو ثعلبة الطائي . وهو رابع خمسة أبيات عند المرزوقي ، ورابع ستة أبيات عند الخطيب التبريزي . وعجزه في رواية الأول : « ولم يك صعلوكاً إذا ما تَمَوّلا » . وفي طريقته البيت الخامس بعده :

ولم يك في بؤس إذا بات ليلة يناغي غزالاً ساجِيَ الطرف أكحلا

(٦٧) البيتان هما الحماسية الواحدة والخمسون في ديوان الحماسة لأبي تمام ، من غير عزْو .

(٦٨) المال، هنا : الإبل . ـ لهم : في شرح المرزوقي ١/٢١٦ : « لكم » . ـ سيل مفعَم : فائض كثير ، قال المرزوقي : والسيل يفعم به الشيْ ، يجوز أن يكون من باب =

ولكنْ أَبى قومٌ ، أُصِيبَ أَخوهُمُ ،
رِضَى العارِ ، فاختارُوا على اللبنِ الدَّما

معنى البيت الأوّل : لو كانت معاملتنا مع حَيٍّ يرى قبول المال فِداءً ، لأرضيناه بالمال الكثير .

ومعنى البيت الثّاني : إمتنع قوم ، أَصَبْنا صاحبهم ، من الرِّضَى بالدَّنيّة ، وآثَرُوا طلب الدَّم على قبول الدِّيَة . وجعَلَ اللبن كنايةً عن الإبِلِ الّتي تُؤَدَّى عَقْلاً (٦٩) ، لأنّه منهــا . أي : أَبَـوْا أن يَرْضَوْا العارَ خُطّةً (٧٠) لأنفُسِهِم .

وقالت (كَبْشَةُ)(٧١) أخت (عَمْرو بن مَعْدِ يكـرِبَ)(٧٢) :

= « هَمّ ناصب» وما أشبهه ، ويكون المعنى سيلاً ذا إفعام . ولكن أكثر ما يجيء معنى النسبة فيما كان للفاعل ، كطالق ومرضع ، ومثله : نخلة موقر . ويجوز ــ وهو الأجود ــ أن يكون عبر عن الكثرة بقوله « مفعَم » ، كما عُبِّر في قولهم « شعرٌ شاعرٌ » ، و « موتٌ مائتٌ » عن التنــاهي بلفظ فاعــل ، وإن كان الشعر لا يشعر ، والموت لا يموت ، كما أن السيل لا يُفْعِم .

(٦٩) ينظر التعليق (٥٨) .

(٧٠) الخُطّة ، بالضم ــ وجمعها خُطَط بالضم ثم الفتح ــ : الأمر ، أو الحالة . وفي الحديث : « قد عرض عليكم خُطّة رُشْد ، فاقبلوها » ، أي : عرض أمراً واضحاً في الهدي والاستقامة ، وفي المَثَل : « جاء فلان وفي رأسه خُطّة » ، أي : أمر قد عزم عليه .

(٧١) قال ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » (٣٧٤) : كان لعمرو بن معد يكرب أخ ، يقال له (عبدالله) ، وأخت يقال لها (كبشة) . فقُتِل أخوه (عبدالله) ، وأراد عمرو أخذ الدية ، فقالت (كبشة) تعيّر فيه (عمراً) :

فإنْ أنتمُ لم تثأروا واتّديْتُمُ فمَشُّوا بآذان النّعــامِ المُصَلّمِ

(٧٢) عمرو بن معد يكرب الزُّبيدي ، أبو ثور ، من مَذْحِج : أحد فرسان العرب =

أَرسلَ (عبدُاللهِ) ، إذْ حانَ يومُهُ ،
إلى قومهِ : لا تَعْقِلُوا لَهُمُ دَمِي[٧٣]
ولا تأخُذُوا منهم إفالاً وأبْكُراً
وأُتْرَكَ في بيتٍ بـ « صَعْدَةَ » مُظْلِمِ[٧٤]
ودَعْ عنك (عَمْراً) ، إنَّ (عَمْراً) مُسالِمٌ
وهَلْ بطنُ (عمروٍ) غيرُ شِبْرٍ لِمَطْعَمِ ؟
فإنْ أنتُمُ لم تَثْأَرُوا ، واتَّدَيْتُمُ ،
فَمَشُّوا بآذانِ النَّعامِ المُصَلَّمِ
ولا تَرِدُوا إلاّ فُضُولَ نِسائِكُمْ
إذا ارْتَمَلَتْ أعقابُهُنَّ من الدَّمِ

= المشهورين بالبأس . أدرك الإسلام ، وقدم على رسول الله — صلّى الله عليه وسلّم — (المدينةَ) ، وأسلم . ثم ارتدّ فيمن ارتدوا باليمن . ثم هاجر الى (العراق) فأسلم . وشهد (القادسية) ، وأبلى في قتال الفرس المجوس بلاءً حسناً . ثم شهد مع النعمان بن مُقَرِّن المزني فتح (نهاوند) ، فاستشهد هناك مع النعمان وطليحة ابن خويلد ، فقبورهم هناك في (الإسبيذهان) . وترجمته في : كتب الصحابة ، وسمط اللآلي ٦٣ ، والأغاني ٢٤/٤ .

(٧٣) هذه الأبيات هي الحماسية الثانية والخمسون في « ديوان الحماسة » اختيار أبي تمام ، وفي معجم البلدان (صعدة) . والبيتان : الثالث والرابع ، في الشعر والشعراء (٣٧٣) بتقديم الرابع . — وقولها : « أرسل » ، دخل عليه الخَرْم ، وهو حذف الفاء من « فعولن » ، والخرم جائز في مطلع القصيدة . هكذا ورد في ديوان الحماسة وفي شرحي المرزوقي والتبريزي ، وورد في لسان العرب (ع / ق / ل) : « وأرسل » بالواو غير مخروم . وصعدة في التعليق (٧٩) .

(٧٤) الإفال : سيذكر المؤلف تفسيرها . — الأبكر ، والبكار ، جمع البَكْر — بفتح فسكون : الفتيّ من الإبل ، والأنثى بكرة ، وفي المثل : « جاؤوا على بَكْرَة أبيهم » ، أي : جاؤوا جميعاً . وبقية الأبيات : فسرها المؤلف .

قولها : « أرسل عبدالله ... » إنّما تكلّمت به على أنّه إخبار عمّا فعله (عبدُالله) ، وهو أخو (عَمْروٍ) ، وغرَضُها تحضيضهم على إدراك الثّأْر . ويقال : عقَلْتُ فُلاناً ، إذا أعطيتَ ديَتَهُ . وجعل هذا المعقولَ الدَّمَ ؛ لِأنَّ المراد مفهوم ، كأنّه قال : لا تأخُذُوا بدَلَ دمي عَقْلاً .

وقولها : « ودَعْ عنك (عَمْراً) » ، أي : خالِفْ (عَمْراً) إنْ هو مالَ إلى الصُّلْح ، ورغِب في أخذ الدِّيَة .

وقولها : « ولا تأخذوا إلاّ إفالاً . . . » ، الإفال : جمع أَفيل ، وهو الّذي أتت عليه سبعة أشهر أو ثمانية من أولاد الإبِلِ . فإنْ قيل : لِمَ ذكرتِ الإفالَ والأبْكُرَ ، وما يُؤَدَّى في الدِّيات لا يكون منهما ؟ قلتُ : أرادت تحقير الدِّيات ، كما يقول الرَّجل إذا أراد تحقير أمر : « خِلعةٌ فازَ بها إنسان »[٧٥] ، إنّما أُعطيَ خِرَقاً وفُلُوساً ، وإنْ كانت الثِّياب المعطاة كُسْوَةً[٧٦] فاخرة ، والمال المحقّر جائزةً سَنِيّة[٧٧] .

وقولها : « وهَلْ بطنُ (عمروٍ) غيرُ شِبرٍ لِمَطْعَم » ، تزهيد في الدِّيَة ، كما ورد في الخبر : « هل بطنُ ابْنِ آدَمَ إلاّ شِبْرٌ في شِبْر »[٧٨] لمّا أُرِيدَ تزهيدُه في الدُّنْيا .

---

(٧٥) الخِلعة من الثياب : ما خلعته فطرحته على آخر ، أو لم تطرحه ، وكل ثوب تخلعه « خِلعةٌ » . واستعملت في معنى خيار المال يهدى الى الإنسان من كسوة وغيرها في ختان أو عرس أو عند انتهاء بناء بيت أو عمارة ـ كما تشيع اليوم في مصطلح البغداديين .

(٧٦) الكِسْوَة والكُسْوَة : اللباس ، جمعها كُسَا .

(٧٧) سَنِيّة : ذات سناء ورفعة وقدر .

(٧٨) في كتاب الزهد من صحيح الترمذي ، ومسند الإمام أحمد ١٣٢/٤ : « ما ملأ آدميّ وعاءً شرّاً من بطن » .

وقولها : « وأترَكَ في بيتٍ بِـ « صَعْدَةَ » مُظْلِم » — صعدةُ (٧٩) : مِخلاف من مَخاليف « اليَمَن » . ويسمّيها غيرهم « المَزالِفَ » ، وهم أهل « الحِجاز » . ويسمّيها أهل « نَجْد » « المَدارِعَ » ، شبّهوها بمَدارِع

(٧٩) وأتركَ : انتصبَ الفعل بإِضمار « أنْ » ، وهو جواب النهي بالواو . — وصعدة ، كما في « المشترك وضعاً والمفترق صُقعاً » و « معجم البلدان » — ثلاثة مواضع : ١ — مخلاف باليمن ، ٢ — صعدة بني عوف بن فِهر في أخبار ثابت بن جابر (تأبّط شرّاً) ، ٣ — ماءٌ جوف العَلَمَيْن : عَلَمَيْ بني سلول ، قريب من « مخمَّر » . قال ياقوت : « وهذا الموضع أرادته (كبشة) أخت (عمرو بن معد يكرب) — فيما أحسب — بقولها ترثي أخاها (عبدالله) ، وتحرّض (عَمْراً) على الأخذ بثأره » ، وساق أبياتها الخمسة هذه . وجاء عنده في البيت الثاني « قبري » في موضع « بيت » ، وفي البيت الرابع « وارتديتم » في موضع « واتّديتم » ، وهو من تحريف الطبع . و(صعدة) المعروفة اليومَ : مدينة مخلاف كبير باليمن ، بينه وبين (صنعاء) ثمانون ميلاً ومئة ميل . قال الهمداني في « صفة جزيرة العرب » (ص ٩٨) : « تسمى في الجاهلية (جُماع) ، وكان بها في قديم الدهر قصر مَشيد [ثم سميت (صعدة) في خبر ذكره] . وقال بعض علماء العراق : إن النِصال الصاعدية تنسب الى (صعدَة) ، وإنما يقال فيها الصاعدية ، فاذا اضطر شاعر قال : صعدية » . ثم قال : « وهي كورة في بلاد خولان ، وموضع الدباغ في الجاهلية الجهلاء ، وذلك أنها في موسط بلاد القَرَظ ، وهو يدور عليها في مسافة يومين . . وكان بها حروب وأيام قد ذكرناها في بعض كتبنا ، وذكرنا من كان بها من شعراء خولان » . وقال الشيخ محمد بن علي الأكوع الحوالي معلقاً على كلام الهمداني (ص/٩٨) : « صعدة مدينة جميلة ، نزهة ، نضرة ، ولا تزال الأحداث تأخذ منها حتى يومنا هذا . وقد أخرجت من حمَلَة العلم ورواة الأخبار وأصحاب الأدب وأهل السيف والقلم جملة مستكثرة » ، وذكر بعضهم ، وزاد قوله : « وصعدة أيضاً بليدة من (مخلاف خدير) جنوب (تَعِزّ) » . وذكر الهمداني (صعدة) في (ص ٢٤٨) أيضاً ، وفي كتاب « الإكليل » ٢ / ٣٥٩ ، وانظر عنها معجم البلدان ، وصحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ١٦٨/٣ .

الأديم[٨٠] ، وهي كِرْعانُهُ[٨١] . وواحدة « المَزالف »[٨٢] مَزْلَفَة . وإنّما جعلت قبره مظلماً ، لأنّهم كانوا يزعمون أنّ المقتول إذا ثأروا به ، أضاء قبره . فإذا أُهدِرَ دَمُه ، أو قُبِلَتْ دِيَتُه ، يبقى قبره مظلماً .

وقولها : « واتّدَيْتُم » ، معناه : قَبِلتم الدِّيَةَ . يقال : وَدَيْتُهُ ، فاتّدى ، كما يقال : وَهَبْتُهُ ، فاتّهَبَ ؛ أي : قَبِلَ الهِبَةَ . وفي الحديث : « هَمَمْتُ أَنْ لا أَتّهِبَ[٨٣] إلّا من قُرَشِيّ ، أو أنْصاريّ » .[٨٤] ومثلُه : قضيتُهُ الدَّيْنَ ، فاقتضاه ؛ أي : قبِله وتوقّره[٨٥] .

وقولها : « فَمَشُّوا . . . » ، أي : إمْشُوا ، وضعّف الفعل للتكثير . ومَنْ روى : « فَمُشُّوا » ، بضمّ الميم ، فمعناه : امْسَحُوا . ويقال لِلْمِنْدِيل[٨٦] : « المَشُوشُ[٨٧] » . والمعنى : إن لم تقتلُوا قاتلي ،

---

(٨٠) مَذارِع الدابة ومذاريعها : قوائمها تذرع بها الأرض . وقوائم ذرعات : سريعات . والمذارع : النخل القريبة من البيوت . والمذارع : ما داني المصر من القرى الصغار . والمذارع : المزالف ، وهي البلاد التي بين الريف والبر ، كالقادسيّة والأنبار في العراق ، الواحد مِذْراع ، وفي حديث الحسن : « كانوا بِمَذارِع اليمن » ، قال : هي القريبة من الأمصار . ومذارع الأرض : نواحيها .

(٨١) الكِرعان : جمع الكُراع ، وكُراع كل شيْ طَرَفُه .

(٨٢) في صحاح العربية : المزالف : البراغيل ، وهي البلاد التي بين الريف والبر ، الواحدة مَزْلَفَة .

(٨٣) أَتّهِب : أقبل الهِبة ، أصلها « أَوْتَهِب » ، فقلبت الواو تاءً ، وأدغمت في تاء الافتعال ، مثل : اتّزن من الوزن ، واتّعد من الوعد .

(٨٤) في « النهاية في غريب الحديث والأثر » زيادةُ : « أو ثَقَفِيّ » ، نسبة الى ثَقيف قبيلة الحجّاج بن يُوسُفَ والي العِراقين .

(٨٥) توقره : بَجلّه .

(٨٦) المنديل بكسر الميم ، والمَنْدِيل بفتحها ، والمِنْدَل بكسر الميم وفتح الدال : =

وقَبِلْتُم دِيَتِي ، فامْشُوا أذِلاءَ ، بآذان مُجَدَّعَة [88] كآذان النَّعام [89] .

= كله الذي يتمسّح به ، قيل : هو من النَّدْل الذي هو الوسخ ، وقيل : إنما اشتقاقه من النَّدْل الذي هو التناول . وقد تَنَدَّل به ، وتمندل . وأنكر الكسائي تمندل .

(87) المَشُوش : ما تُمُشَّ (تمسح) به اليد من منديل ونحوه ، من قولهم : مَشَّ يده ، إذا مسحها بشيْ خشن ليزيل الدسم . والمَشّ ومشتقاته — ما عدا المشوش — من المتداول في كلام البغداديين اليوم .

(88) جَدَعه ، وجَدَّعه (بالتضعيف) : قطع أنفه ، أو طرفاً من أطرافه .

(89) كذا النص في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ، وقال المرزوقي في شرحه ٢١٨/١ : «ووصف النعام بالمصلم تصوير لها ، وإن كانت خلقتُه جميعها ذلك» . قال : ومن أحاديثهم عن البهائم : «ذهبت النعامة تطلب قرنين . فجدعت آذانها» . والنعام : يذكّر ويؤنّث ، وهو اسم جنس مثل : حمام وحمامة ، وجراد وجرادة ، وتجمع النعامة على نعامات . وهو حيوان مركب من خلقة الطير والجمل ، يقال له بالفارسية « اشترْ مُرْغ » ، وتفسيره : بعير وطائر . . أخذ من البعير العنقَ والوظيفَ والمَنِسمَ ، ومن الطير المنقار والجناح والريش . — مصلم الأذنين ، كأنهما اقتطعتا من أصولهما ، وهو صحيح حاسة السمع والشم ؛ يبتلع الحصى ، ويذوب في قانصته حتى يصير كالماء ، ويبتلع الجمر ولا يضره ، وتحمى صنجة مئة درهم من الحديد حتى تحمر وترمى الى النعامة فتبلعها وتستمرئها . ويقال لذكرها « الظَّلِيم » ، ويجمع على « ظِلمان » . وللنعام في أدب العرب ذكر مستفيض ، كثرت أوصافه في الشعر وكتب الحديث والفقه والأمثال والحيوان ، وأطال الكلام عليه الجاحظ في « كتاب الحيوان » (ينظر فهرست الكتاب في ٧/ ٥٧ ٣ من تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون) ، و « حياة الحيوان » للدميري ٢/٣١٠–٣١٢ ، و « عجائب المخلوقات » للقزويني في حاشية حياة الحيوان ٢/ ٢٥٦ — ٢٥٨ . وفي النعام ضربت أمثال كثيرة متعددة الأوصاف ، تنظر في « مجمع الأمثال » للميداني ، و « فرائد اللآل » للأحدب .

ووصفُ النّعام بالمُصلّم ، تصغيرٌ لهـا ، وإنْ كانت خِلقة [٩٠]. تقول : كأنّكم ، مِمّا تُعَيّرُون ، ليست لكم آذان تسمَعُون بها ، فامشوا بغير آذان ، أي : صُمّاً عمّا يتكلّمُ النّاس به من عيبكم . واختُلِف في النّعام ، فقيل : إنّها كُلّها صُلْمٌ ، وقيل : إنّها صُمٌّ ، لا تسمَعُ شيئاً ، وليس لها آذان [٩١] ، وإنّما تعرِف ما تحتاج إليه بالشّمّ .

وقولها : « ولا تَرِدُوا إلّا فُضُول نسائكم ... » ، قال (أبو رِياش)[٩٢] : تقول ـ : إذا قبِلتم الدِّيَةَ ، فلا تأنَفُوا بعدَها من شيْ كما تأنَفُ العرب ، واغشَوْا نساءَكم وهُنَّ حُيّضٌ . فقد كان من عاداتهم ، إذا وَرَدُوا المياهَ ، أن يتقدّمَ الرّجال ، ثمَّ العَضارِيط [٩٣] والرِّعاء [٩٤] ، ثمّ النِّساء ، إذا صدرت كلُّ فِرقة عنه ، فكُنَّ يَغْسِلْنَ أنفُسَهنّ وثِيابُهنّ ، ويتطهّرْنَ

(٩٠) وصف النعام بذلك لصغر أذنيه وقصرهما وعدم ظهورهما ، والصَّلْم : القطع المستأصل ، وقيل : الصلم قطع الأذن والأنف من أصلهما ، ورجل مصلّم الأذنين اذا اقتطعتا من أصولهما ، ويقال للظليم مصلم الأذنين كأنه مستأصل الأذنين خِلقةً . فاذا أطلق على الناس ، فإنما يراد به الذليل المهان ، وهو ما أرادته (كبشة) في هذا البيت .

(٩١) هذه حكاية الخطيب التبريزي في شرح ديوان الحماسة ١/١١٧ـ١١٨ ، والصحيح ما أسلفته في الفقرتين السابقتين .

(٩٢) هو أحمد بن ابراهيم الشيباني ، أبو رياش اليماميّ اللغوي . شَرَحَ (الحماسة) ، وتوفي سنة ٣٣٩ هـ . وترجمته في : معجم الأدباء ٢/١٢٣ ، وإنباه الرواة ١/٢٥ ، وطبقات ابن قاضي شهبة ١/١٨٨ ، وبغية الوعاة ١٧٨ ، وتلخيص ابن مكتوم . وقد أغفل الزركلي ترجمته في الأعلام ، ط ٢ .

(٩٣) العضاريط والعضارطة : التّبّاع ، والخادمون على طعام بطونهم ، والصعاليك . الواحد : عُضْرُط ، وعُضْرُوط .

(٩٤) الرِّعاء والرُّعاة والرّعيان ، كلها جمع راعٍ ، وفي التنزيل العـزيز : (حتّى يُصدِر الرِّعاءُ وأبونا شيخٌ كبيرٌ) .

آمنات ممّا يزعجهنّ . فمَنْ تأخرَ عن الماء حتى تُصْدِرَ النّساء ، فهو الغاية في الذُّل . وجعَلَ النّساء مُرْتَمِلاتٍ بدم الحَيْض ، تفظيعاً للشّأن . وارْتَمَلَ : إذا تلطّخَ بالدّم . والفضول ، هنا : بقايا الحيض . وسمّى الغِشْيان [٩٥] وِرْداً ، مَجازاً . وقال (أبو مُحَمّد الأَعْرابيّ) [٩٦] : معناه — لا تَرِدُوا المواسم بعدَ أخذ الدِّيَة إلّا وأعراضُكم دَنِسَةٌ من العار ، كأنّكم نِساءٌ حُيَّض .

وهذا كما قال(جَرير) [٩٧] :

(٩٥) غِشيان المكان : إتيانه .

(٩٦) هو الحسن بن أحمد الأعرابي الغُنْدِجانيّ ، أبو محمد ، المعروف بـ (الأسود) . فارسيّ من أهل « غُنْدِجان » قصبة « دَشْت بارين) في فارس . ألف أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها ، وفرحة الأديب . ونزهة الأديب ، وضالة الأديب ، وقيد الأوابد – وهذه الكتب الأربعة ردود على بعض الكتب في اللغة والأدب ، وغيرها . قال ياقوت : وكان لا يقنعه أن يرد على أهل العلم ردّاً جميلاً ، وإنما يجعله من باب السخرية والتهكم وضرب الأمثال . توفي سنة ٤٢٨ هـ . وترجمته في : معجـــم الأدباء ، وخزانة الأدب للبغـــدادي ٢١/١، والفهرس التمهيدي ٣٥٧ ، وتاريخ آداب العرب للرافعي ٣٠٧/١ ، ومعجم البلدان – في (غندجان) .

(٩٧) جرير بن عطية بن حذيفة ، أبو حزرة ، اليربوعي التميمي (٤٢ – ١١٠ هـ) : أحد فحول شعراء الإسلام ، ومن أحسنهم تشبيباً ، وأوجعهم هجاءً . ولد في العراق، ومات في اليمامة . مدح الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان ، والحجاج ابن يوسف الثقفي ، وشغل أهل زمانه بأهاجيه ومناقضاته للشعراء ، وقيل إنه هاجى ثلاثة وأربعين شاعراً ، منهم الفرزدق والأخطل . وتغزل بالنساء أرق الغزل ، وكان عفيفاً . طبع ديوانه في مصر ١٣١٣ هـ و ١٣٥٣ هـ ، ونقائضه مع الأخطل في بيروت ١٩٢٢ م ، ونقائضه مع الفرزدق ٣ أجزاء ١٩٠٥ – ١٩١٢ م . وترجمته في : طبقات الشعراء ٩٦ ، والشعراء والشعراء ٤٦٤ والموشح ١١٨ ، والأغاني ٣٥/٧ ط ساسي .

لا تذكُروا حالَ الملوك ، فإنّكُمْ
بعدَ (الزُّبَيْرِ) كحائضٍ لم تَغْسِلِ (٩٨)

وقال (جَميل العُذْرِيّ) (٩٩) من أبيات :

و ٨ ط . دار الكتب ، ووفيات الأعيان ١٠٢/١ ، وسمط اللآلي ٢٩٢ و ٧٥٣ ، وشرح مقامات الحريري للشريشي ٢ /٢٤٩ ، والاشتقاق ١٤١ ، ومرآة الجنان ٢ــ٢٣٤ ، وشرح الشواهد الكبرى ٩١/١ ، وشرح شواهد مغني اللبيب ١٦ ، وخزانة الأدب للبغدادي ٣٦/١ بولاق ، ٧٨/١ السلفية ، ومعجم الشعراء ٧١ ، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ٢١٥/١ « الترجمة العربية ، وكتابي : المجمل في تاريــخ الأدب العربي ٢٧٣/١ ط . بغــداد ١٣٤٧ هـ ــ ١٩٢٩ م . وفيه دراســات وبحوث كثيرة ، منها بحث المستشــرق شاده A. Shaade في ملحق دائرة المعارف الإسلامية ، والمثلث الأموي : لفؤاد البستاني في مجلة المشرق ٥١٥/٤١ ــ ٥٢٥ ، وجرير : لخليل مردم بك ، وجرير : قصة حياته ودراسة أشعاره ، لجميل سلطان .

(٩٨) البيت في ديوانه (بشرح محمد بن حبيب) « ص ٩٤١ » ، وفيه : « حُلَل » في موضع « حال » . وهو من قصيدة يخاطب بها الفرزدق ، عدة أبياتها ٦٢ بيتاً .

(٩٩) هو جميل بن عبدالله بن مَعْمَر العُذْري ، المعروف بجميل بثينة : شاعرٌ حجازي غزِلٌ من مشاهير العاشقين . شغف بـ (بثينة) من فواتن عشيرته ، وخطبها فرُدَّ عنها ، فكاد يجنّ ، ومضى يشبب بها حتى اشتهر بها وأضيف اسمه الى اسمها ، وطوح به ابتلاؤه بحبها في الآفاق بين الشــام واليمن . ثم رحل الى عبدالعزيز بن مروان بمصر ، فأكرمه ، ووعده في بُثينة خيراً ، وأمر له بمنزل ، فأقام قليلاً ومات فيه كئيباً من تباريح وجده في سنة ٨٢ أو ٨٣ هـ . وغزله غاية في السلاسة والحلاوة والعذوبة ، وقد اختلط أكثره على الرواة ، فأضافوا اليه شعر مجنون ليلى وغيره ، كما أضافوا الى المجنون وغيره شعره ، لقرب مذاهبهم في الشعر ، وتشابه حياتهم في الحب : الحب العفيف البريْ . وديوان شعره كبير ، ذكر ابن خلكان =

يقولونَ لي : « أَهْلاً وسَهْلاً ومَرْحَباً » ،
ولو ظَفِرُوا بي ساعةً ، قَتَلُــونِي
وكيفَ ، ولا تُوفِي دماؤهُمُ دمي ،
ولا مالُهُمْ ذُو نَدْهَةٍ ، فيَدُوني ؟[100]

النَّدْهَةُ : كَثْرة المال ، وقال قوم : النَّدْهَةُ العِشرون من الإبِل ، والمِئَــة من الضَّأْن[101] ، والأَلْف من الصّامت[102] . ويقــال : وَدَاهُ يَدِيهِ وَدْياً ودِيَةً .

وقوله : « ولاتُوفِي دماؤهم دمي » ، أي : دماؤهم كلّهم ، لا تَفِي بدمي . يقــال : أوفى به ، ووفى ، وأوفاه يُوفِيهِ إيفاءً : إذا قضى دَينه على الوفاء .

= (١/١١٥) أنه كان متداولاً في أيامه . غير أننا لم نقف على خبره ، ومنه طائفة في مجموعة ذكِر أن نسخة منها في « مكتبة برلين » . وفي كتب الأدب جملة صالحة منه . وترجمته في : الشعر والشعراء ١٦٦ ، ومختصر تاريخ ابن عساكر ٣/٣٩٥ ، والأغاني ٨/٩٠ ط . دار الكتب ، والآمدي ٧٢ ، ووفيات الأعيان ١/١١٥ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ١/١٦٩ ، وخزانة الأدب للبغدادي ١/١٩١ ، وتزيين الأسواق ١/٣٨ ، وكتابي : المجمل في تاريخ الأدب العربي ١/٢٤٣ ط . بغداد ، ١٣٤٧ هـ – ١٩٢٩ م .

(١٠٠) البيتان من قصيدة ، عِدّتها ٣٤ بيتاً ، في ديوانه (ص ٢١١) . يقول : وكيف يقتلونني ولا توفي دماؤهم حقّ دمي ، لأنهم ليسوا أكفاء لي ، ومن أين لهم القدرة ، وهم فقراء بائسون ، على أن يدوني ، أي يدفعوا ديتي .

(١٠١) الضأن : ذو الصوف من الغنم ، ويقال : لحمُ ضأنٍ ، بالإضافة ؛ ولحمٌ ضأنٌ ، بالوصف .

(١٠٢) الصامت ، من المال : الذهب والفضة ، ويقولون : « ما لَهُ صامت ، ولا ناطق » إذا كان لا يملك شيئاً .

وقال (زِيادة الحارثيّ) [١٠٣] من أبيات :

يقولُ رِجالٌ ، ما أُصِيبَ لهم أبٌ ،

ولا من أخٍ : « أقبِلْ على المال تُعْقَلِ »

يقول : يشيرون عليّ بأخذ الدِّيَة ، ولم يُصِبْهم ما أصابني . ولَعَلّهم لو أُصِيبوا بما أُصِبْت به ، لم تُقْنِعْهم الدِّيَةُ . ونحوُهُ المَثَلُ السّائر : « وَيْلٌ للشّجِيّ من الخَلِي » [١٠٤] ، أي : لا يساعده على شَجاه ، ويلومُهُ .

وقال (الحكم بن زهرة) [١٠٥] :

قومٌ ، إذا ما جَنَى جانِيهمُ ، أَمِنُوا

ــ من لُؤْمِ أحسابِهمْ ــ أَنْ يُقْتَلُوا قَوَدا [١٠٦]

---

(١٠٣) هو زيادة بن زيد بن مالك ، من بني الحارث بن سعد بن هذيم : شاعر إسلامي من شعراء العصر الأموي . قتله هدبة بن خشرم العذري . ذكر له أبو تمام في « ديوان الحماسة » ثلاثة أبيات على الراء ، ثم ذكر مقطوعة ذات ثمانية أبيات على اللام لابنه مسور بن زيادة الحارثي ، وفيها البيت : « يقول رجال ... » ، وهو السادس في المقطوعة .

(١٠٤) مثَل يضرب لسوء مشاركة الرجل صاحبه . والخليّ : الخالي من الهم ، وياؤه مشددة . ــ والشجي : المهموم ، وياؤه مخففة ، وقد تشدد . يقول : إن الخليّ لا يساعد الشجي على ما به ويلومه . وزعم بعضهم أن الخلي والشجي اسما رجلين على ما ذكر في كتب الأمثال ، في شرح المثل : « صُغراهن شُرّاهن » .

(١٠٥) قال الجمحيّ : زهرة أمه ، وهو ابن المقداد بن الحكم ، أحد بني مخاشن : بطن من فَزَارة ، ويعرف بالحكم الأصم الفَزَاري ، ولم أقف على كونه جاهلياً أو إسلامياً .

(١٠٦) هذا البيت من ثلاثة أبيات ، هجا بها الشاعر قبيلة « وَبْر بن الأضبط » من كلاب ، ذكرها أبو تمام في باب الحماسة من « ديوان الحماسة ، وموضعها الصحيح باب الهجاء . والأبيات هي للحكم بن زهرة ، على ما نسبها اليه أبو هلال والتبريزي والمرزباني . ــ والقَوَد : قتل القاتل بالقتيل .

يقول : هم قوم إذا جَرَّ واحد منهم جَرِيرة ، أَمِنَ جميعهم . لدِقّةِ أُصُولهم ، ولُؤْم أحسابهم ، أَنْ يُؤاخَذَ كُلُّهم بهــا . فكيف الواحد منهم ؟ كأنّهم لا يُعَدُّون بَواءً بقتيــل [١٠٧] . والقَوَدُ : أن يُقْتَلَ القاتلُ بالقتيل ، فيقال : أَقَدْتُه به . وإذا أتى الرّجل صاحبه بمكروهة . فانتقم منه بمثلها ، قِيل : استقادها منه .

وفي « كتاب إعلام الموقّعين » [١٠٨] للإمام (ابْنِ القَيّم) [١٠٩] :

(١٠٧) البَواء ، بفتح الباء وتخفيف الواو : المساواة ، يقال : باوأت بين القتلى . أي : ساويت . ويقال : باءَ به ، إذا كان كُفَواً له ، وهم بَوَاء – أي :أكفاء ، معناه : ذَوُو بَوَاء ، ومنه الحديث : « الجراحات بَواء » يعني أنها متساوية في القِصاص ، وأنه لا يقتصّ للمجروح إلا من جارحه الجاني ، ولا يؤخذ الا مثل جراحته سواء وما يساويها في الجرح ، وذلك البَواءُ .

(١٠٨) إعلام الموقعين عن رب العالمين : من أجل الكتب في أحكام القضاء والاجتهاد . طبع بمصر مع كتاب حادي الأفراح ، في ثلاثة أجزاء ، وكلا الكتابين للامام ابن قيّم الجوزية .

(١٠٩) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرْعي الدمشقي ، أبو عبدالله ، شمس الدين المشهور بابن القيم ، وابن قيّم الجوزية ، أي قيّم المدرسة الجوزية بدمشق . أحد علماء الملة المجتهدين الكبار والمصلحين المجددين ، وصدر جليل القدر من صدور المؤلفين المحققين المبدعين . ولد في دمشق سنة ٦٩١ هـ ، وتَلْمَذَ لشيخ الإسلام العظيم تقي الدين بن تيمية ، وجرى على نهجه في الإصلاح الإسلامي ومقارعة المبتدعين ، وسُجن معه في قلعة دمشق ، وأهين وعُذّب ، وطيف به على جمل مضروباً بالعصي ، وأطلق بعد موت شيخه السجين في سنة ٧٢٨ هـ ، وعاش بعده الى سنة ٧٥١ هـ . وقد ألف تصانيف جليلة في فنون كثيرة غاية في سعة العلم ، وبُعد آفاق الفكر وقوة التحقيق وحرية الرأي ، مع التزام عمود القرآن والسنة النبوية ، منها : إعلام الموقّعين عن رب العالمين ، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، والتبيان في أقسام القرآن ، والهدي النبوي – ويعرف أيضاً بزاد المعاد ، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، وإغاثة =

« إنَّ الجناية على النُّفُوس والأعضاء ، تُدخِل من الغيظ والحَنَق والعداوة على المَجْنِيّ عليه وأوليائه ما لا تُدخِلُه جنايةُ المال ، وتُدخِل عليهم من الغَضاضة [110] والعار واحتمال الضَّيْم والحميّة والتّحرُّق لأخذ الثّأر ما لا يَجْبُرُه المال أبداً ، حتّى إنَّ أولادهم وأعقابهم لَيُعَيَّرُون بذلك . ولأولياء القتيل من المقصد [111] في القِصاص ، وإذاقة الجاني وأوليائه ما أذاقه للمَجْنِيّ عليه [وأوليائه] [112] ، ما ليس لمن خُرِق ثوبه ، أو عُقِرت فرسه [113] . والمَجْنِيُّ عليه موتور [114] هو وأولياؤه . فإن لم يُوتَرِ الجاني وأولياؤه ، ويُجرَّعُوا من الألم والغيظ ما تَجرَّعَه الأوَّل ، لم يكن عدلاً » .

قال : « وقد كانت العرب في جاهليّتها تَعِيبُ على من يأخذ الدِّيَةَ ، ويرضَى بها من دَرْك [115] ثأره وشفاء غيظه ، كقول قائلهم يهجو مَنْ أخذ الدِّيَةَ مِن الإبِل :

وإنّ الّذي أصبحتُمُ تَحْلِبُونَهُ   دَمٌ ، غيرَ أَنَّ اللونَ ليس بأشقرا

= اللهفان ، وهداية الحيارى ، ومفتاح دار السعادة ، وشرح منازل السائرين ، وروضة المحبين ، وحادي الأرواح الى بلاد الأفراح ، وبدائع الفوائد ، والصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة ، واجتماع الجيوش الإسلامية على غزو الفرقة الجهمية ، والداء والدواء ، وغيرها . ومصادر ترجمته في الأعلام ٦/٢٨٠–٢٨١ ، ط ٢ .

(١١٠) الغضاضة : الذلة والمنقصة ، و ــ العيب .

(١١١) في « إعلام الموقعين » المطبوع : « القصد » .

(١١٢) من « اعلام الموقّعين » المطبوع .

(١١٣) عقرت : ضربت قوائمها بالسيف . وعقر الحيوان : ذبحه .

(١١٤) تقدم في التعليق (٦٥) .

(١١٥) الدَّرْك ، والدَّرَك : اسم مصدر من الإدراك .

وقال (جَرِير)[116] يعيّر مَنْ أخذ الدِّيَةَ ، فاشترى بها نخلاً :

ألا ، أبْلِغْ (بني حُجْرِ بْنِ وَهْبِ)
بأنَّ التَّمْرَ حُلْــوٌ في الشِّتاءِ[117]

[ومثلُ قولِ (جَرِير) ، قولُ (الفَرَزْدَق)[118] :

---

(١١٦) ينظر التعليق (٩٧) .

(١١٧) ديوان جرير (ص ١٠١٩) ، والأغاني ٢١/٨ ، وأنساب الأشراف (مخطوط) ٩٤٣/٢ ، وبعده :

عليكــم بالنخيل فأصلحــوها ودوروا بالمُشَقَّر فالصفــاء

وفي الأغاني :

فعــودوا للنخيــل فأَبِّرُوهــا وعيشــوا بالمشــقّر فالصفــاء

وهما في هجاء العباس بن يزيد الكندي . — و (حُجْـر بن وهب) بن ربيعة بن معاوية الأكرمين : جد جاهليّ ، ينسب اليه كثيرون ، ذكر عز الدين بن الأثير بعضهم في « اللباب » (٣٨١/١) ، وقــال : هو (أي حُجْر) ابن عم (حجر ابن عديّ بن ربيعة بن معاوية الأكرمين : بطن من كِنْدَة . — وتأبير النخيل : تلقيحها . — والمشقّر : حصن بالبحرين عظيم لعبدالقيس ، يلي حصناً لهم آخر يقال له : الصفا ، قِبَلَ مدينة هَجَر .

(١١٨) هو همام بن غالب بن صعصعة ، أبو فِراس ، الدارمي التميمي (. . — ١١٠ هـ) . لقب بالفرزدق ، لجهامة وجهه وغلظه : شاعر كبير ، ولد في « البصرة » ، شريف في قومه . مدح الخلفاء الأمويين وأمراءهم . وكان من أشد الشعراء انتصاراً لبني أمية ، وميلاً الى عثمان بن عفان وأسرته . وهاجى جريراً والأخطل . وشعره عظيم الأثر في اللغة والشعر . وكان مدّلاً بنفسه ، فخوراً بآبائه : يسامي مناوئيه . طبع ديوانه بمصر في جملة الدواوين الخمسة (للنابغة ، وعروة ، وحاتم ، وعلقمة ، والفرزدق) ، وطبع وحده في باريس مع ترجمة لبوشر . وترجمته في : طبقات الشعراء ٧٥ ، والموشح ٤٨٦ ، والشعر والشعراء ٤٧١ ، وجمهرة أشعار العرب ١٦٣ ، والحيوان ٦ / ٢٢٦ ، والبيان والتبيين (ينظر فهرسه) ، ومعاهد التنصيص ٤٥/١ ، ورغبة الآمل ١١٤/١ و٧٨/٢ ، ٢١٧ ، =

أكلتُ دماً إن لم أرُعْكِ بضَرَّةٍ ،
بعيدةِ مَهْوَى القُرْطِ ، طيّبةِ النَّشْرِ [119]

= ٣٢٧ و ٣/٥٥ ، واللآلي ١/٤٤ ، والأغاني ٩/٣٢٤ ، وأمالي المرتضى ١/٤٣ ، ومعجم الأدباء ١٩/٢٩٧ ، وشرح الشواهد الكبرى ١/١١١ ، وشرح شواهد مغني اللبيب ٤ ، ومفتاح السعادة ١/١٩٥ ، وخزانة الأدب للبغدادي ١/١٠٥ ، وسرح العيون ٢١٣ ط . بولاق ، وشرح مقامات الحريري للشريشي ١/١٤٢ ، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ١/ ٢٠٩ « الترجمة » ، وكتابي : المجمل في تاريخ الأدب العربي ١/١٦٨ ط . بغداد ، ١٩٢٩ م ، وغيرها كثير . وفيه دراسات حديثة ذكر بعضها كارل بروكلمان ، وخير الدين الزركلي في الأعلام ، وآخر ما ألف فيه رسالة للدكتور شاكر الفحام ، طبعت في دمشق سنة ١٩٧٧ م .

(١١٩) هذا البيت ، لا وجود له في ديوان الفرزدق المطبوع . وقد ذكر الزمخشري في « الكشاف » (١ / ٢١٥) شطره الأول من غير عزو، شاهداً على قول العرب : « أكل فلان الدم : إذا أكل الدية التي هي بدل منه » ، وذكر نظيره قول الآخر : « يأكلن كلّ ليلة إكافا » ، وقال : « أراد ثمن الإكاف ، فسماه إكافاً، لتلبسه بكونه ثمناً له » ، وصدره : « إن لنا أحمرة عِجافا » . وهو (أي البيت : أكلت دماً . .) ثاني بيت من خمسة أبيات لأعرابي مجهول ، ذكرها أبو تمام في أول « باب مذمة النساء » من ديوان الحماسة ، وقال : « قال بعض الأعراب يخاطب امرأته (حين تزوجها ، فلم توافقه) ، فقيل له : حُمّى (دمشق) سريعة في موت النساء . فحملها إليهــا » . والبيت الرابع يقطــع بأنّ الأعرابي فعل ذلك (بعد ثلاثين حولاً من تزوجه لم يجد فيها راحة من امرأته هذه) ، وليس (حين تزوجها) ، كما جاء في « ديوان الحماسة » .
والأبيات هي :

دمشقُ خذيها ، واعلمي أنّ ليلةً تَمرُّ بعُودَيْ نَعْشِها ليلةُ القَدْرِ
أكلتُ دماً إن لم أرُعْكِ بضَرّةٍ بعيدةِ مَهْوَىَ القُرْط طيّبةِ النّشْرِ
أمالكِ عُمْرٌ ؟ إنّما أنتِ حيّةٌ إذا هي لم تُقْتَل تَعِشْ آخرَ الدّهرِ =

يريد بالدّم الدّيَةَ] [120] .

= ثلاثينَ حَوْلاً ، لا أرى منكِ راحةً لهنّكِ في الدنيا لباقيةُ العُمْرِ
فإنْ أنقلبْ من عُمرٍ صعبةَ سالماً تكن من نساء الناس لي بيضة العُقْرِ

وقوله : « أكلت دماً » ذكر محشي الكشاف (٢١٦/١) ثلاثة احتمالات في تأويله : الأول أنه أراد به الدّيةَ لأنها بدل الدم ، وأخذُها عار عند العرب ، لدلالتها على الجبن وحب المال دون الثأر . الثاني أنه دعا على نفسه بالجدب حتى يحتاج الى فَصْد النوق وأكل دمها ، قال : وكذلك كانت تفعل الجاهلية في الجدب . الثالث أن المراد شربت دماً ، فهو تعليق على الممتنع عنده ، دلالة على تحقيق التزوج ، لأنه يرجع الى أن عدم التزوج ممتنع ، كما أن شرب الدم ممتنع . ثم عقب على هذا بقوله : « ونظيره ما أنشده أبو إياس » ، وأورد الأبيات المذكورة – عدا هذا البيت : أكلت دماً . . – على ترتيب آخر . ولست أدري مَنْ أبو إياس هذا ؟ وهل الأبيات له أو لغيره ؟ وقوله : « إن لم أرُعْكِ » من : راعه يروعه إذا أخافه ، والمراد أنه يَغيظها بتزوج ضرة عليها جميلة .. « بعيدة مهوى القُرط » أي طويلة العنق ، حسنة السالفة ، وهو تعبير كنائي داخل فيما سماه البلاغيون (الإرداف) . وهو كما قال ابن الأثير في « المثل السائر » ضرب من اللفظ المركب ، إلا أنه اختص بصفة تخصه ، وهي أن تكون الكناية دليلاً على المكنيّ عنه ، ولازمة له ، بخلاف غيرها من الكنايات ، ألا ترى أن بُعْدَ مَهْوَى القرط دليل على طول العنق ، وأن طول النجاد دليل على طول القامة ولازم له ؟ . ومثل هذا التعبير في البيت قول عمر بن أبي ربيعة (الديوان ٤٧٨) :

بعيدة مهوى القرط : إما لنوفل أبوها ، وإمّا عبدِ شمسٍ وهاشمِ

والقُرْط حليّ يعلّق في شحمة الأذن ، ومَهْواه : مسقطه من المنكب . – والنشر : الرائحة الطيبة .

(١٢٠) ما بين المعقوفين ، ليس في « إعلام الموقّعين » المطبوع ، فلعلّ المؤلف وقعت له هذه الزيادة من نسخة مخطوطة ، على أنه ذكر في كتابه (بلوغ الأرب) (٢٠/١٩ – ٢٠ ، ط ٢) طرفاً من كلام الإمام ابن =

وقالَ آخرُ [١٢١] :

خليـــلانِ ، مختلفٌ شَكْلُنا ،
أُرِيدُ العَـــلاءَ ، ويبغــي السِّمَنْ
أُريدُ دِماءَ (بني مالك) ،
ورأيُ (المُعَلّى) بياضُ اللَّبَنْ [١٢٢]

وهذا ـ وإن كانت الشّريعة قد أبطلته ، وجاءت بما هو خير منه وأصلح في المَعاش والمَعاد ـ من تخيير الأولياء بين إدراك الثّأر ونيلِ التّشَفّي ،

= انقيم هذا ، وفاته أن يشير إليه كما فعل في هذه الرسالة . والذي في المطبوع هو : « وقال آخر :

إذا صُبَّ ما في الوطب فاعلم بأنه دم الشيخ فاشرب من دم الشيخ أو دَعا »

أي : دَعْ ، والألف منقلبة عن نون التوكيد المخففة . وقد تقدم غير معزوّ في موضع سابق (ينظر التعليق ٥٨) .

(١٢١) لم أظفر باسمه .

(١٢٢) بنو مالك : قبائل عدّة تعرف بهذا الاسم ، من جُذام ، ومن قيس عيلان ، ومن الأزْد ، ومن تغلب ، ومن طيّء ، ومن هَمْدان ، ومن كهلان ، ومن كندة ، ومن تميم من عدنان . . الخ . ـ و (المُعَلّى) لعله المعلى بن تَيْم الذي أجار امرأ القيس بن حجر حين لجأ إليه خائفاً من المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة ، وعلم المنذر أنه عنده فطلبه ، وفتش منازله ، وأخفاه ابن للمعلى في قبة حرمه ، واجتمع « بنو تيم » فحالوا بين المنذر ودخوله القبة ، فقال امرؤ القيس يمدحه :

كأني اذ نزلت على (المعلــى) نزلت على البواذخ من (شَمامِ)
فما ملِكُ العراق ، على (المعلى) بمقتدر ، ولا ملكُ (الشــآمِ)
أَصَدَّ نشاصَ ذي القرنين حتــى تولــى حارضُ الملكِ الهُمــامِ
أَقَرَّ حشى (امرئْ القيس بن حُجْر) (بنو تَيْمٍ) مصابيح الظــلامِ

والخبر في ديوان امــرئْ القيس ، والأغــاني ٨ / ٦٨ ، وبلــوغ الأرب ٩٠/٣ ، وغيرها .

وَبَيْنَ أخذِ الدِّيَةَ — فإنَّ القصد به أنَّ العرب لم تكن تعيّر مَنْ أَخَذ بدل ما له ، ولم تَعُدَّه ضَعْفاً ولا عجزاً الْبَتَّةَ ، بخلاف من أخذ بدل دم وليّه . فما سوّى الله بين الأمرَيْن في طبع ، ولا عقل ، ولا شرع »(١٢٣) .

★ ★ ★

دِيَةُ الملوك لدى العرب أيّامَ الجاهليّة :

كانت دِيَةُ الملك من ملوك العرب ، إذا قتله قاتل منهم ، ألْفَ بعير(١٢٤) . وعلى ذلك قول (قُرادِ بْنِ حَنَشٍ الصّارِدِيّ)(١٢٥) ، وهو(١٢٦) :

(١٢٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/٢٣٠) ، وبقيته فيه : « والإنسان قد يخرق ثوبه عند الغيظ ، ويذبح ماشيته ، ويتلف ماله ، فلا يلحقه في ذلك من المشقة والغيظ والإزراء به ما يلحق من قتل نفسه ، أو جدع أنفه ، أو قلع عينه » .

(١٢٤) قال المؤلف — رحمه الله تعالى — في « بلوغ الأَرَب » (٣/٢٢ ، ط ٢) : « كان عامة العرب يأخذون في دِية النفس مئة من الأبل ، وكان هذا الحكم جارياً بين قبائلهم . ولما كان الملوك ممتازين عندهم في كثير من الأحكام ، جعلوا دِيَةَ أحدهم — إذا قُتِلَ — ألف بعير » .

(١٢٥) سيذكر المؤلف قبيلته (صاردة) ، وهو شاعر جاهليّ ، قليل الشعر ، جيّده . جعله الجُمَحي في الطبقة الثامنة من الشعراء الإسلاميين من معاصري (عقيل ابن عُلّفة المُرّيّ) في العصر الأموي ، وهو غريب . فإن أبا عبيدة ذكر أنه كان في الجاهلية معاصراً لزهير بن أبي سُلْمى ، وأن غَطَفان كانت تغير على شعره فتأخذه وتدعيه ، منهم : زهير بن أبي سُلْمى ، ادعى الأبيات التي أولها :

إن الرزيئة لا رزيئة مثلها ... ما تبتغي غَطَفانُ يومَ أَضَلّتِ

وهي لقُراد . أنظر طبقات فحول الشعراء ٥٦١ و ٥٦٨ ، وشرح التبريزي على ديوان الحماسة ٤—٣ ، ومعجم الشعراء ٣٧ ، ونسب قريش ٧ ، وبلوغ الأرب ٣/٢٢ والأغاني ١٠/٢٤ .

(١٢٦) البيتان من قصيدة ، عِدّتُها اثنا عشر بيتاً ، في كتاب « نسب قريش وأخبارها (ص١٨) =

ونحن رَهَنّا القوسَ ، ثُمّتَ فُودِيَتْ
بألْفٍ على ظهرِ (الفَزَارِيّ) أقرعـا [١٢٧]
بعشـرِ مِئِينٍ للملـوك ، سـعى بها
لِيُوفِيَ (سَيّارُ بْنُ عَمْروٍ)،فأسرعا [١٢٨]

قـال (ابن عبد ربّه) [١٢٩] في (العِقْد الفَرِيد): « إنّ (سَيّار بن عَمْرو بن جابر الفَزَارِيّ) احتمل لِلْ (أَسود بن المنذر) [١٣٠] دِيَةَ ابْنِه ،

= وهما فيه :

يكلفهم ما شاء ، ثم وفـوا بها بألف على ظهر (الفَزارِيّ) أقرعـا
بعشر مئين للملوك سعى بهـا لِيُحْمَدَ (سيّار بن عمروٍ) فأسرعا

وفي الأغاني (١١/١١١–١١٢) : ويقال : « بل قالها ربيع بن قَعْنَب » ، وذكر البيتين منسوبين الى أرطأة بن سُهَيّة المُرّي ، ولفظهما :

ربطنا ديات للملوك ، سعى بها (سنان) و(سيّار بن عمرو) فأسرعا
ونحن رهنّا القوس ثمّ افتككتُها بألف على ظهر (ابن مُزْنَةَ) أقرعا

(١٢٧) الألف : مذكر ، ولذلك قالوا : ألف أقرع ، ولم يقولوا : قرعاء . وألف أقرع : تامّ ، وهو لكل ألف ، كما أن « هُنَيْدَةَ » اسم لكل مئة ، كما في صحاح اللغة . وقيل : لو أُنث « الألف » باعتداد الدراهم ، لجاز بمعنى : هذه الدراهم ألف .

(١٢٨) سيّار بن عمرو : في« كتاب نسب قريش وأخبارها » (ص١٢) ، والأغاني ١٠ / ٢٤ ، والعقد ٥ / ١٤٩ .

(١٢٩) هو أحمد بن محمد بن عبد ربه ، أبو عُمَرَ : شـاعر مذكور ، وأديب إمام من أهل (قرطبة) . ولد سنة ٢٤٦ هـ ، وتوفي سنة ٣٢٨ هـ . وألف كتابه (العقد) ، وقد أضاف النساخ المتأخرون اليه لفظ « الفريد » ، فصار يعرف بالعقد الفريد . ومصادر ترجمته في الأعلام للزركلي .

(١٣٠) هو الأسود بن المنذر الأول بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو اللخميّ : من ملوك العِراق في الجاهلية . ملك عشرين سنة ، ونشبت حروب بينه =

الّذي قتله (الحارث بن ظالم)[١٣١] ، ألْفَ بعير ، وهي دِيَةُ الملوك ، ورَهَنَهُ بها قوسه، فوفّى . وكان هذا قبلَ قوس (حاجب بن زُرَارة)[١٣٢] » .

= وبين الغسانيين ملوك الشام ، فقهرهم ، ثم قُتِل في إحدى معاركه نحو سنة ١٦٤ قبل الهجرة . وأخباره في تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ٦٩ ، وتاريخ ابن الأثير ١ / ٤١٠ ، ٤٣٩ ، ٤٨٣ ، ٥٦٣ ، ٦١٧ – ط بيروت ، والعرب قبل الإسلام ، ص ٢٠٦ .

(١٣١) الحارث بن ظالم بن غيظ المري ، أبو ليلى : من المضروب بهم المثل في الوفاء ، وأشهر فتّاك العرب في الجاهلية . تحامت العرب شره ، ونشبت من أجله معارك كثيرة، وطاف في البلاد حتى أتى الشام،فقتل فيحَوْران . وأخباره في تاريخ ابن الأثير ١ / ٢٠٠ ، والمحبر ١٩٢ ، والأمثال للميداني ٢٤/٢ ، وفرائد اللآل لإبراهيم الأحدب٢/٣٣٣ ، ونهاية الأَرب للنويري ٣٤٨/١٥ و ٣٤٩ و ٣٥٣– ٣٥٦ ، وخزانة الأدب للبغدادي ١٨٥/٣ ، والأغاني ٨٤/٦ – ٨٧ ، وبلوغ الأرب ١٣٣/١ – ١٣٥ ، و ٧٤/٢ ٧٤–٢ و ١٨٩ ، و٢٣/٣ ، ط ٢ ، وشرح اختيارات المفضل للخطيب التبريزي ١٣٢٧،و٧٩/٨،و١٦/١٠–٢٩،و١٩–٩٩، والشعر والشعراء ٦٧ ، وأسماء المغتالين ١٣٤ – ١٣٥ و ٢٢٨ – ٢٢٩ ، وكنى الشعراء ٢٩٣ ، وجمهرة ابن حزم ٢٥٣ – ٢٥٤ ، والاشتقاق ١٠٧ ، ٢٨٧ ، والنقائض ١٠٣ – ١٠٤، و ١٠٦٠ – ١٠٦١ ، وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٣٧٧ – ٣٧٨ .

(١٣٢) حاجب بن زرارة بن عُدُس الدارِميّ التميمي : من سادات العرب في الجاهلية ، ومن حكام تميم ، ومن المشهورين بالوفاء بين العرب ، ومن الفصحاء والبلغاء . وفد على كسرى لما منع تميماً من ريف العراق ، فخلبه بسحر بيانه ، في خبر فيه بعض طول ، وسأله كسرى الضمان له أن لا تغير تميم على بلاده ، فقال له : أرهنك قوسي . فلما جاء بها ، ضحك مَنْ حوله ، فقال كسرى : « ما كان ليسلمها لشيْ أبداً . خذوها منه » . وأذن لتميم أن يدخلوا ريف العراق . وفي ذلك قال أبو تمام في مدحه أبا دلف العجلي : =

وقال (أبو عُبَيْدَةَ) [١٣٣] في(مَقاتل الفُرسان) [١٣٤] : « إنَّ أخا (سَيّار) لِأمّه ، (الحارثَ بن سُفْيانَ الصّارِدِيَّ) ، تكفّلها لِـ (أَسْوَد) ، فقام منها بثَمان مئة . ثمّ مات . فرهَنَ (سَيّار) قوسه على المِئتَيْن الباقيتين ، لا غير . فلمّا مدح (قُرادُ بْنُ حنَش) (بني فَزَارَةَ) ، جعل الحَمالَةَ [١٣٥] كلّها لِـ (سَيّار) » [١٣٦] .

= إذا افتخرت يوماً (تميم) بقوسها وزادت على ما وطّدت من مناقبِ
فأنتم بـ (ذي قار) أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس(حاجب)
وأدرك حاجب بن زرارة الإسلام وأسلم ، وبعثه النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ على صدقات بني تميم ، فلم يلبث أن مات نحو سنة ثلاث للهجرة . وأخباره في : الإصابة ٢٧٣/١ ، ١٨٧/٢ ، والأغاني ١٥٠/١١ ط. دار الكتب المصرية ، وباوغ الأرب ١٢٣/١ ــ ١٢٤ ، و ٣١١ ــ ط ٢ ، والعقد .

(١٣٣) هو معمر بن المثنى التيمي ــ بالولاء ، البصريّ ، أبو عبيدة : نحوي لغوي نسّابة . ولد سنة ١١٠ هـ ، وقيل غير ذلك . فارسي الأصل ، شعوبي .. ، قال ابن قتيبة : كان يبغض العرب ، وصنف في مثالبهم كتباً ، له نحو مئتي كتاب . قال علاّن الشعوبي ، والقوم يعرف بعضهم بعضاً : « أبو عبيدة ، يلقب بـ (سِبُخْتَ) من أهل (فارس) ، عجمي الأصل » . مات أبو عبيدة سنة ٢٠٩ هـ ، ولم يحضر جنازته أحد ، لشعوبيته وشدة تحامله على الناس . مصادر ترجمته وأخباره في : إنباه الرواة ــ ، ومجلة معهد المخطوطات العربية ٣٣٩/١٣ ، والاعلام ١٩١/٨ ، ط ٢ .

(١٣٤) ذكر الزركلي في الأعلام « طبقات الفرسان » ، وذكره القفطي قبله في « الإنباه » ، وذكر له أيضاً « كتاب مقاتل الأشراف » ، وكذلك في وفيات الأعيان . وهما ــ كما في الفهرست ٨٠ ط / مصر ــ كتابان : كتاب مقاتل الفرسان ، وكتاب مقاتل الأشراف .

(١٣٥) الحَمالة ، بفتح الحاء وتخفيف الميم : الدية ، والغرامة التي يحملها قوم عن قوم .

(١٣٦) ومثل هذا قصة رداء (الفرزدق) ، رواها أبو عبيدة ــ قال : كان الفرزدق =

وألفٌ أقرعُ – بالقاف – أي : تامّ .

و (قُراد بْنُ حَنَش) : شاعر جاهليّ ، من (بني صـارِدَةَ) ، بتقديم الرّاء على الدّال ، وهم فَخِذ من (فَزَارَةَ) (١٣٧) .

★ ★ ★

[التّعْقِيَة] (١٣٨) :

= بـ (المدينة) حين جاءت وقعة (وكيع) ، وحج سليمان بن عبدالملك ، فبلغه بـ (مكة) وقعة وكيع بـ (قتيبة) ، فخطب الناس بـ (مسجد عرفات) ، فذكر غدر بني تميم ووثوبهم على سلطانهم وإسراعهم الى الفتن ، وأنهم أصحاب فتن وأهل غدر وقلة شكر ، فقام اليه (الفرزدق) فقال – وفتح رداءه – : « يا أمير المؤمنين ! هذا ردائي رهن لك بوفاء بني تميم ، والذي بلغك كذب » . وفي ذلك ، حيث جاءت بيعة وكيع لسليمان بن عبدالملك ، قال :

فِدىً لسيوف من تميم وفَى بها ... رِدائي ، وجَلّت عن وجوه (الأهاتِمِ)

شفين حزازات الصدور ، ولم تَدَعْ ... علينا مقالاً في وفاءٍ لِلائمِ

أبَأنا بهم قتلى ، وما في دمائهم ... وفاءٌ ، وهُنّ الشافيات الحوائم (؟)

جزى الله قومي ، إذْ أرادوا خفارتي ، ... قتيبةَ سعي الأفضلين الأكارم

هُمُ سمعوا يوم المُحَصّب من مِنى ... نـدائي إذا التَفّتْ رقاق المواسم

والخبر والشعر وشرحه في : خزانة البغدادي ، وبلوغ الأرب ٣/٢٣ – ٢٤ ، ط ٢ .

(١٣٧) فَزَارة ، بفتح الفاء وتخفيف الزاي : أبو حيّ من غَطَفان ، وهو فزارة بن ذُبيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان .

(١٣٨) التعقية : مصدر عَقّى الرامي بالسهم يعقّي تعقيةً ، رمى به نحو السماء فارتفع ، لغة في عَقّه يعقّه عَقّاً ، ويسمى ذلك السهم : العقيقة .

ومن عجيب أمر العرب ، في الاعتذار من قبول الدِّيَة ، لُجُوؤُهم إلى ما يقال له (التَّعْقِيَةُ) . وهو ما دَلَّ عليه شعر (المُتَنَخِّل الهُذَلِيّ) (١٣٩) ، أنشده (أبو عُبَيْد البكريّ) (١٤٠) في (شرح نوادر القالي) (١٤١) ، وهو :

---

(١٣٩) هو مالك بن عويمر (أوعمرو) بن عثمان (أوعثم) ، أبو أثيلة ، من هُذَيْل . والمتنخِّل (اسم فاعل ، من : تَنَخَّل الشيْ ، أي اختاره ، كأنه صفّاه من نُخالته : لقب) . وهو في الأصل « المُنَخَّل » . وفي « شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف » (ص ٣٩٠) : « ويغلط بالمنخل والمتنخِّل . فأما المنخل بن الحارث ، فهو رَبَعيّ من بني يشكر ، وهو القائل :

إن كنت عاذلتي ، فسيري نحو (العراق) ، ولا تحوري

وأما المتنخل ، فهو من شعراء هُذَيْل . . » : . وهو جاهلي ، من نبغاء هُذَيْل . أثبت بعض شعره مشروحاً في « ديوان الهُذَلِيين » (ق ٢ ــ ١ / ٣٧) وأثبت له أبو الفرج في الأغاني « صوتاً » من قصيدة قالها في رثاء ابنه « أثيلة » ، وقال الآمدي : شاعر محسن ، وقال الاصمعي : « هو صاحب أجود قصيدة طائية قالتها العرب » ، وهي بتمامها في « جمهرة أشعار العرب (ص ١١٨) . وترجمة المتنخل في : الشعر والشعراء ٦٥٩ ، والأغاني ١٤٥/٢٠ ، والمؤتلف ١٧٨ ، والاقتضاب ٣٦٢ ، وسمط اللآلئ ٧٢٤ ، وشرح الشواهد للعيني م / ٥١٧ ، وخزانة البغدادي ١٣٥/٢ ، وتاج العروس ١٣١/٨ ، وديوان الهذليين ق٢/ص١ .

(١٤٠) هو عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد ، أبو عبيد ، البكري الأندلسي ، من بكر بن وائل ، صليبة : أديب مؤرخ جغرافي نباتي ، ثقة . ولد في شلطيش : مدينة غربي اشبيلية في الأندلس ، وتوفي في قرطبة سنة ٤٨٧ هـ عن سنّ عالية . ألف كتباً جليلة ، طبع منها « معجم ما استعجم » ، وجزءان من كتاب « المسالك والممالك » ، و « سمط اللآلي في شرح أمالي القالي » ، و « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » .

(١٤١) أراد « كتاب التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » (ص ٨٠ ــ ٨١) .

لا يُنْسِئِ اللهُ مِنّا مَعْشَراً ، شَهِدُوا
يومَ « الأُمَيْلِحِ »،لا عاشُوا ولا مَرِحُوا [١٤٢]
عَقُّوا بسَهْمٍ ، فلم يشعُرْ به أحدٌ ،
ثمّ اسْتَفاؤُوا ، وقالُوا: حَبّذا الوَضَحُ [١٤٣]

قال (البكريُّ) : هذا ، من شعرٍ يهجو به ناساً من قومه ، كانوا مع ابنه (حجّاج [١٤٤]) يومَ قُتِلَ . وقولُه : « لا يُنسِئِ الله » ، أي : لا يؤخّر الله موتَهم ، من الإنْساء ، وهو التّأخير .

(١٤٢) الأُمَيْلِحِ : موضع في بلاد هذيل، كان به يوم ، أي وقعة ، كما في لسان العرب (م / ل / ح) ، وأنشد البيت للمتنخل ، وفيه « لا يَنْسَأ ... لا غابوا ولا جرحوا » ، قال ابن منظور : « يقول: لم يغيبوا فنُكْفَى أن يُؤْسَرُوا أو يقتلوا ، ولا جرَحوا ،أي : ولا قاتلوا ، إذ كانوا معنا » . وبين هذين البيتين في رواية البكري في كتاب التنبيه » (ص ٨١) بيتان آخران ، وهما :
لا غَيّبُوا شِلْوَ (حَجّاج) ولا شهدوا   حَمَّ القتالِ ، فلا تسألْ بما افتضحوا
لكن (كبير بن هند) يوم ذلكُمُ   فُتْخ الشمائل في أيمانهم رَوَحُ

(١٤٣) البيت في تهذيب اللغة (١/ ٦٠) غير منسوب ، وفيه : « وأخبرني عبدالملك البَغَويّ عن الربيع عن الشافعي أنه أنشده : « عقّوا بسهم . . البيت » . وورد في لسان العرب غير منسوب في (ف/ي/ أ) ، ومنسوباً الى أبي ذؤيب الهذلي في (و/ ض / ح) ، والى المتنخل الهذلي في (ع / ق / ق) و (ع / ق / ١) ، وهذا هو الصحيح كما جاء في «أمالي القالي » (١/٢٤٨ ط٢)، وفي« التنبيه على أوهام أبي علي في أماليـه » (ص ٨١) . وورد البيت في « كتاب التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري » (٨٩) غير منسوب ، وصدره فيه : « عفوا بسهم فلم يضرر به أحد » ، و « عفوا » — بالفاء — تصحيف . ومعنى « استفاؤوا »: رجعوا ، أي : رجعوا عن طلب الثأر الى قبول الدية . يقال : فاء ، وأفاء ، واستفاء . — والوَضَح : اللبن ، سمّي وَضَحاً لبياضه ، ومعنى « حبذا الوضح » : حبذا الإبل والغنم نأخذها في الدية ونشرب ألبانها .

(١٤٤) في الأصل « وكانوا مع أبيه حُجّاجاً »،وهو تحريف في الكتاب المنقول عنه، =

قال (أبو العبّاس ثعلبٌ) [145] : « التّعْقِية : سهم الاعتذار ، وقال (ابن الأعرابيّ) [146] : أصلُ هذا أنْ يقتُلَ الرّجُل رجلاً من قبيلته ، فيُطْلَب القاتل بدمه ، فتجتمع جماعة من الرّؤساء إلى أولياء المقتول بدِيَة مُكَمّلة ، ويسألونهم العفوَ وقَبُولَ الدِّيَة . فإن كان أولياؤه ذوي قُوىً ، أبَوْا ذلك . وإلّا قالوا : بينَنا وبينَ خالقنا علامة للأمر والنّهي . فيقول الآخَرون : ما علامتكم ؟ فيقولون : أن نأخُذَ سهماً ، فنرميَ به نحوَ السّماء . فإنْ رجَعَ إلينا مُضَرّجاً بالدّم ، فقد نُهِينا عن أخذ الدِّيَة . وإنْ رَجَع كما صعِد ، فقد أُمِرْنا بأخذها ! وحينئذٍ مَسَحُوا لِحاهم ، وصالحوا على الدِّيَة . وكان مسحُ اللحية علامةً على الصُّلْح .

= وصوابه ما أثبتّه من « كتاب التنبيه » (ص ٨٠) ، ويعضده قول الشاعر الذي أوردته في التعليق (١٣٨) :

لا غيبوا شلو (حجاج) ، ولا شهدوا حَمّ القتالِ ، فلا تسأل بما افتضحوا

(١٤٥) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني بالولاء ، وثعلب لقب : أحد أئمة الكوفيين في النحو واللغة ورواية الشعر ، ثقة ، مشهور بالحفظ . ولد ببغداد سنة ٢٠٠ هـ ، وتوفي فيها سنة ٢٩١ هـ ، وله من المؤلفات : الفصيح ، ومعاني القرآن ، ومعاني الشعر ، وقواعد الشعر ، والمجالس ، وما تلحن فيه العامة . وشرح ديوان الأعشى ، وغيرها .

(١٤٦) نص كلام ثعلب في : تهذيب اللغة (٥٩/١) ، ولسان العرب (عق) ، والتنبيه على أوهام أبي علي في أماليه (ص ٨٠) : « قال أبو العباس ثعلب ، رحمه الله : سألت ابن الأعرابي ، رحمه الله ، عن « التعقية » ، وهو سهم الاعتذار ، فقال : قالت الأعراب : إن أصل هذا أن يُقْتَلَ الرجل من القبيلة ، فيطالب القاتل بدمه . . » .

قال (الأَسْعَرُ الجُعْفِيُّ) (١٤٧) :

عَقُّوا بسهمٍ ، ثُمَّ قالُوا : « سالِمُوا » .
يا ليتَني في القوم إذْ مَسَحُوا اللِحَى ! (١٤٨)

قال (ابن الأعرابيّ) (١٤٩) : ما رجَع ذلك السّهْم قَطُّ إلّا نقيّاً ، ولكنّهم يعتذرون به عند الجهّال .

و « عَقُّوا » : بضمّ القاف ، وفتحها ؛ لأنّه جاء من بابَيْنِ . فانّه يقال : عَقَّ بالسّهم ، إذا رمى به نحوَ السّماء . وذلك السّهم يسمّى

(١٤٧) في الأصل : « الأشعر الجُعْفِيّ » – بالشين المعجمة ، ومثله في : لسان العرب ، وتاج العروس في (عقّ) ، وذكر فيهما في (سعر) بالسين المهملة على الصحة . وهو من الألفاظ التي وقع فيها التصحيف قديماً ، وقد نَبّه عليه العسكريّ في « شرح ما يقع فيه التحريف والتصحيف » فقال (ص ٣٧١) : « وأمّا الأَسْعَرُ الجُعْفِيّ ، فهو بالسين غير المعجمة ، سُمّيَ (الأسعر) لقوله :

فلا يَدْعُني قومي لكَعْبِ بْنِ مالكٍ «لئن» أنا لم أسعَرْ عليهِمْ وأُثْقِبِ » .

وروى الآمِديّ البيت في « المؤتلف » :

فلا يَدْعُني قومي لسَعْدِ بْنِ مالكٍ إذا أنا لم أسعَرْ عليهِمْ وأثقُبِ

وفي الصحاح ، ولسان العرب ، وتاج العروس : « .. من آل مالك ، اذا أنا . . » .

و (الأسعر) – واسمه هو مرثد بن أبي حمران الحارث بن معاوية الجُعْفِيّ : شاعر ، له ترجمة في « المؤتلف » (ص٤٧) ، وشعر في « مختارات الأَصْمَعِيّ » .

(١٤٨) البيت في : « تهذيب اللغة » (١/٦٠) ، وغيره ، منسوب الى الأسعر الجُعفيّ ، وصدره في : أمالي القالي : « مسحوا لِحاهم ، ثم قالُوا : سالمُوا » .

(١٤٩) التعليق (٩٦) .

« عَقِيقَةً » بقافين . ويقال له أيضاً « سهم الاعتذار » ؛ فعَقُّوا ، بضمّ القاف . ويقال : عَقّى بسهمه تَعْقِيَةً ، إذا رماهُ في الهواء ؛ فعَقَّوْا ، بفتح القاف .

❋ ★ ❋

(العاقلة) [١٥٠] :

وقد يوجبون الدِّيَةَ (١٥٠ آ) على أقارب القاتل ، لا على القاتل ، وهم العَصَبَة ، وهم القرابة من قِبَلِ الأب الّذين يُعْطُون دِيَةَ قتل الخطأ . ويُسَمّوْنَ العاقلة . وهي صفة جماعة عاقلة . وأصلها اسم فاعل من « العَقْل » ، وهي من الصِّفات الغالبة . والعَقْلُ : الدِّيَةُ . وعَقَلَ القتيلَ يَعْقِلُهُ عَقْلاً : وَدَاهُ . وعَقَلَ عنه : أدَّى جِنايته ، وذلك إذا لَزِمَتْهُ الدِّيَةُ ، فأعطاها عنه . وعَقَلْتُ له دمَ فُلان : إذا تركتَ القَوَدَ للدِّيَة . قالت (كَبْشَةُ) [١٥١] أخت (عَمْرِو بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ) [١٥٢] :

أرسلَ (عبدُالله) ، إذْ حانَ يومُهُ ،
إلى قومه : « لا تَعْقِلُوا لَهُمُ دمي » [١٥٣]

وهذا ، هو الفرق بينَ : عَقَلْتُهُ ، وعَقَلْتُ عنه ، وعَقَلْتُ له .

فأمّا قوله :

فإنْ كان عَقْلٌ ، فاْعقِلا عن أخيكما
بناتِ الْمَخاضِ والفِصالَ المَقاحِما [١٥٤]

(١٥٠) التعليقان (٥٣) و (٥٨) .

(١٥١) التعليق (٧١) .

(١٥٢) التعليق (٧٢) .

(١٥٣) التعليق (٧٣) .

(١٥٤) لسان العرب (ع/ق/ل)، وهو غير منسوب فيه . ــ والمَخاض : وجع الولادة =

فإنّمـا عَدّاه ، لأنّ في قوله « اعقلُوا »[١٥٥] معنى « أدُّوا » و « أعْطُوا » ، حتّى كأنّه قال : فأدّيا وأعْطيا عن أخيكما .

ويقال : اعْتَقَلَ فُلان من دم صاحبه ، ومن طائلته . إذا أخذ العَقْلَ .

ومعرفة العاقلة ، أن يُنْظَرَ إلى إخوة الجاني من قِبَلِ الأب ، فيُحَمَّلُونَ ما تُحَمَّلُ العاقلةُ . فإنِ احتملوها ، أدَّوْها في ثلاث سنين . وإن لم يحتملوها ، رُفِعَتْ إلى بني جَدّه . فإن لم يحتملوها ، رُفِعَتْ إلى بني جَدّ أبيه . فإن لم يحتملوها ، رُفِعَتْ إلى بني جَدّ أبي جَدّه . ثمّ هكذا لا ترفع عن بني أب ، حتّى يعجِزوا .

= وكل حامل ضربها الطلق فهي ماخض . — والمخاض : الحوامل من النوق ، واحدتها خِلْفة — على غير قياس ، ولا واحد لها من لفظها ، ومنه قيل للفَصيل إذا استكمل السنة ودخل في الثانية : ابن مَخَاض ، والأنثى : ابنة مَخاض . قال الجوهري : ابن مخاض نكرة ، فاذا أردت تعريفه ، أدخلت عليه الألف واللام ، إلا أنه تعريف جنس ، قال : ولا يقال في الجمع إلا بنات مخاض ، وبنات لبون ، وبنات آوى . وقال غيره : ويقال للفصيل إذا لقحت أمه : ابنُ مخاض ، والأنثى بنت مخاض ، وجمعها : بنات مخاض ، لا تثنّى مخاض ولا تجمع ، لأنهم إنما يريدون أنها مضافة الى هذه السن الواحدة ، وتدخله الألف واللام للتعريف ، فيقال : ابن المخاض وبنت المخاض . قال جرير ، ونسبه ابن بري في أماليه الى الفَرَزْدَق :

وجدنا نهشلاً فَضَلَتْ فُقَيْماً   كفضل ابن المخاض على الفصيلِ

قلت : ومن هذا بيت الشاعر ها هنا . — والمَقاحم : جمع المُقْحَم ، وهو البعير الذي يلقي سِنّيْهِ في عام واحد ، وذلك لا يكون إلا لابن الهَرِمَيْن ، قاله أبو منصور الأزهري .

(١٥٥) هذا نص الصحاح ، والسياق يطلب التثنية ، لأنها كذلك في البيت ، فيقال : «لأن في قوله « اعقلا » معنى : أدّيا وأعطيا » .

وسُئِل الإمام (أحمد [بن محمد] بن حَنْبَل)[156] عن العــاقلة[157] ، فقال : « القبيلة ، إلّا أنّهم يُحَمّلُون بقدر ما يُطِيقُونَ » . قــال : « فإن لم تكن عاقلة ، لم تُجْعَل في مال الجاني ، ولكن تُهْدَرُ عنه » .
والعقل ، في كلام العرب[158] : الدِّيَةُ . سمّيت عقلاً ، لأنّ الدِّيَةَ كانت عند العرب في الجاهليّة إبِلاً ، لأنّها كانت أموالهم ، فسمّيت الدِّيَة عَقْــلاً ؛ لأن القاتل كان يكلّفُ أن يسوقَ الدِّيَةَ إلى فِنــاء[159]

(١٥٦) هو الإمام المحدث الفقيه العظيم ، أبو عبدالله الشيباني الوائلي . ولد ببغداد في سنة ١٦٤ هـ ، ونشأ على طلب العلم ، وسافر في سبيله أسفاراً كبيرة الى أطراف العالم الإسلامي ، وألف المسند المشهور ، والتفسير ، والتاريخ ، وفضائل الصحابة ، وعلل الحديث ، والرد على من ادعى التناقض في القرآن ، والناسخ والمنسوخ ، وغير ذلك . وامتحن بفتنة المأمون ، إذ دعا العلماء الى القول بخلق القرآن ، ومات المأمون قبل أن يناظره ، وتولى المعتصم ودعاه الى القول بذلك ، فامتنع ، فسجنه ثمانية وعشرين شهراً ، وأطلق سنة ٢٢٠ هـ ، وسلم من الشر في زمن الواثق . ولما تولى المتوكل أكرم الإمام ابن حنبل وقدمه . وتوفي الإمام سنة ٢٤١ هـ وهو على تقدم عند المتوكل . صنف ابن الجوزي في سيرته كتــاب « مناقب الإمام أحمد » ، والشيخ محمد أبوزهرة من المعاصرين : « ابن حنبل » . وبعض مصادر ترجمته في الأعلام ١٩٣/١ .

(١٥٧) في لسان العرب (ع/ق/ل) : « مَنِ العاقلة ؟ » ، ونصه :
« قال اسحاق بن منصور : قلت لأحمد بن حنبل : مَنِ العاقلة ؟ فقال : القبيلة ، إلا أنهم يُحَمّلُون بقدر مايطيقون ، قال : فإن لم تكن عاقلةٌ لم تجعل في مال الجاني ، ولكن تهدر عنه . وقال اسحاق [يعني ابن راهويه] : اذا لم تكن العاقلة أصلاً ، فإنه يكون في بيت المال ، ولاتهدر الدية » .

(١٥٨) لسان العرب (ع/ق/ل) عن أبي منصور الأزهري .

(١٥٩) الفِناء ، بكسر الفاء : الساحة في الدار ، أو بجانبها ، ج : أفنية .

وَرَثَةَ المعقول عنه ، فيَعْقِلُها بالعُقُل ، ويسلّمها إلى أوليائه . وأصل العقل ، مصدرُ : عَقَلْتُ البعير بالعِقال ، أَعْقِلُهُ ، عَقْلاً . وهو حبل ، تُثْنَى به يد البعير إلى رُكْبَتِه ، فتُشَدُّ به (١٦٠) .

والمَعْقُلَةُ : الدِّيَةُ . يقال : « لنا عند فُلان ضَمَدٌ من مَعْقُلَةٍ » ، أي : بقيّةٌ من دِيَة كانت عليه . و « دَمُهُ مَعْقُلَةٌ على قومه » ، أي : غُرْم يؤدُّونه من أموالهم (١٦١) .

ويقال « بنو فُلان على مَعاقِلِهم الأُولى من الدِّيَة » ، أي : على حال الدِّيات الّتي كانت في الْجاهليّة ، يؤدُّونها كما كانوا يؤدُّونها في الْجاهليّة (١٦٢) .

❋ ★ ❋

(١٦٠) قال ابن الأثير في النهاية — ونقل ابن منظور عنها : وكان أصل الدية الإبل ، ثمّ قُوِّمت بعد ذلك بالذهب والفضة والبقر والغنم وغيرها . قال أبو منصور الأزهري : وقضى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في دية الخطأ المحض وشبه العمد أن يَغْرَمَها عَصَبَةُ القاتل ، ويخرج منها ولده وأبوه . وأما دية الخطأ المحض ، فإنها تقسم أخماساً : عشرين ابنة مخاض ، وعشرين ابنة لبون ، وعشرين ابن لبون ، وعشرين حِقّة ، وعشرين جَذَعة . وأما دية شبه العمد ، فإنها تُغَلّظ ، وهي مئة بعير أيضاً : منها ثلاثون حِقّة ، وثلاثون جَذَعة ، وأربعون مابين ثَنِيّة الى بازِلِ عامِها — كُلُّها خَلِفَةٌ ، فعَصَبَة القاتل — إن كان القتل خطأ محضاً — غَرِمُوا الدية لأولياء القتيل أخماساً ، وإن كان القتل شبه العمد غرِمُوها مغلّظة في ثلاث سنين ، وهم العاقلة . وفي كتب الحديث والفقه كلام مستفيض في هذا الباب .

(١٦١) لسان العرب (ع/ق/ل) ، والغُرْم :ماينوب الإنسان في مالِه من ضرر بغير جناية منه أو خيانة .

(١٦٢) لسان العرب (ع/ق/ل) .

(فِداء الأسير) :

كان العرب في الجاهليّة إذا وقعت بينهم الحرب ، وأَسَرَ بعضهم بعضاً ، يعاملون الأسير معاملةً شديدةً بأوضاع مختلفة : من تقييده بقيد ، أو إدخاله في جلد بعير ، أو غير ذلك .

فإنْ كان الأسير شريفاً ، فدِيَ بِمِئتين من الإِبِل .

وكان من مدائحهم لشريف أنّهم يقولون : « فُلانٌ عِقالُ المِئين » ، ويقولون أيضاً : « فُلانٌ قَيْدُ مِئَةٍ » و « عِقالُ مِئَةٍ » إذا كان فِداؤه ، إذا أُسِرَ ، مِئةً من الإبل[١٦٣] .

قال (يزيدُ بن الصَّعِق)[١٦٤] : .

أُساوِرُ بيضَ الدّارِعينَ ، وأَبتغي عِقَالَ الْمِئِينَ في الصّباح وفي الدَّهْرِ[١٦٥]

❋ ★ ❋

(عِقاب مَن هجا مِنَ الشّعراء) :

كانوا إذا خافوا هجاء شاعر ، شَدّوا لسانه ، لِئَلّا يهجوهم ، كما دلّ على

(١٦٣) لسان العرب ، وتاج العروس (ع/ق/ل) ، ولم تذكر عبارة « قيد مئة » في (ق/ي/د) .

(١٦٤) هو يزيد بن عمرو بن خويلد الصعق بن نُفَيْل الكلابي : شاعر جاهلي ، من الفرسان كما يشير الى ذلك بيته هذا . له أخبار ذكرت مصادرها في الأعلام ٢٤٠/٩ ، ط ٢ .

(١٦٥) البيت في لسان العرب (ع/ق/ل) ، وفي موضع « الصباح » فيه : « الصاع » ، وفي الحاشية : « هكذا في الأصل بدون نقط ، وفي نسخة من التهذيب « الصباح » . وهو في تاج العروس ــ في (ع/ق/ل) أيضاً ــ : « الصياع » . واذا صح هذا لزم أن يكون فعله « صايَعَ » ، ولم تذكره دووابن اللغة ، وإنما ذكرت : صاع يصوع صَوْعاً ، وهو أن يحمل الشجاع على أقرانه فيفرق جمعهم . ــ والمساورة : مصدر ساوره سِواراً ومساورة : واثَبَهُ ، و ــ أخذ برأسه في العِراك .ــ والدارع : لابس الدرع .

ذلك شعر (عبدِ يَغُوثَ بنِ الحارث بن وقّاص الحارِثيّ القَحْطانيّ)(١٦٦) . وكان شاعراً من شعراء الجاهليّة ، فارساً ، سيّد قومه من (بني الحارث بن كَعْب) . وهو الّذي كان قائدهم يومَ « الكُلاب الثّاني »(١٦٧) ، فأسرته (تَيْمٌ) (١٦٨) ، وشَدّوا لسانه . وهذا شعره :

(١٦٦) هذه رواية البغدادي (الخزانة ٣١٧/١) في نسبه . وهو في « كتاب المحبر » : « عبد يغوث بن وقّاص بن صُلاءة (بضم أوله) الحارثي » ، وفي سمط اللآلي (٣-٦٣) : عبد يغوث بن معاوية بن صُلاءة ، وقيل : ابن الحارث بن وقاص بن صلاءة : شاعر جاهلي يماني ، من الفرسان المعدودين . ومن أخباره : أنه أُسِر يوم الكُلاب الثاني ، كلاب أهل اليمن وتميم .. أسره مُصاد بن ربيعة التيمي ، تَيْم الرِّباب . وكان مصاد مطعوناً في أكحله ، فنزفه الدم ، وعبد يغوث خلفه ، فسقط ، وأجهز عليه عبد يغوث ، ونجا . وكان عرف أثره عِصمة بن أُبَيْرد ، فتبعه فأسره . فاشتراه منه من اشتراه ، بثلاثين من الإبل ، وكعموه بنسعة — فيما حكى الأنباري في شرح المفضليات (٣١٧) — مخافةَ أن يهجوهم . قال : وقد كانوا سمعوه ينشد شعراً ، فقال : أطلقوا لي عن لساني أذُمُّ أصحابي ، وأنوح على نفسي . فقالوا : إنك شاعر ، ونخشى أن تهجونا . فجعل لهم أن لايهجوهم . فأطلقوا له عن لسانه . قال الأنباري : فذلك قوله : « أقول ، وقد شدوا لساني بنسعة .. البيت » . وقال غيره : إنه خُيِّرَ كيف يرغب أن يموت ، فاختار أن يشرب الخمر صِرفاً ، ويقطع عرق الأكحل ، فمات نزفاً . وأخباره في الأغاني ٣٢٨/١٦-٣٤١ ، وخزانة البغدادي ٣١٧/١ ، وشرح الشواهد ٢٣٢ ، والنقائض ٤٩-١٥٦ ، وأمالي القالي ٣-١٢٢ ، والبيان والتبيين ٤٥/٤ ، والعقد / ج ٥ (يوم الكُلاب الثاني) .

(١٦٧) الكُلاب ، بوزن الغراب : قال ياقوت في كتاب المشترك وضعاً : « الكلاب موضع واحد ، كان فيه يومان من أيام العرب المشهورة : الكُلاب الأول ، والكُلاب الثاني ، واليومان في موضع واحد ، قيل : هو ماء بين الكوفة والبصرة على سبع ليال من اليمامة ، وقيل : ماء بين جَبَلَة وشَمام » . ثم قال : « والكلاب =

أقولُ ، وقــد شَدُّوا لِساني بِنِسْعَةٍ :
أمَعْشَرَ (تَيْمٍ) ، أطلِقُوا لي لِسانِيا (١٦٩)
أمَعْشَرَ (تَيْمٍ) ، قد ملكتم فأَسْجِحُوا ،
فإنّ أخاكم لم يكن مِن بَوَائِيا (١٧٠)

= وادٍ بثهلان لبني العرجاء من بني عمير ، فيه نخل لهم ومياه » . وتفصيل حوادث هذين اليومين من أيام العرب في : الأغاني ١٢ / ٢٠٩ ـ ٢١٦ ، والعقــد ٥/٢٢٢ ـ ٢٣٣ ، ونهاية الأرب للنويري ١٥/٤٠٦ ـ ٤١٢ ، وشرح المفضليات للأنباري ٤٢٧ ـ ٤٣٥ . وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٤٣٩ ، وأمالي القالي ٣/١٢٣ ، ومعجم البلدان (الكلاب) ، وتاريخ ابن الأثير ١/٥٤٩ ـ ٥٥٢ و ٦٢٠ ـ ٦٢٦ ط . بيروت .

(١٦٨) تيم : قبيلة عدنانية ، وهم تيم بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة ، منهم عصمة بن أُبَيْرِد الصحابي . وقــد عرفوا بـ « تيم الرِّباب » لأنهم تَحالفــوا وترابَعُوا مع ضبة وثور وعكل وعديّ ، فصاروا يداً واحدة ، والتّرابّ : هو التجمع رُبَّةً رُبّةً ، أي فِرقة فِرقة ، وجمع الرُّبّة : الرِباب ، بكسر الراء .

(١٦٩) النِسعة ، بكسر فسكون : القطعة من النِّسع ، وهو السير المظفر من الجِلد . وقوله : « أمعشر تيم » قال الأنباري : « ويروى : معاشرَ تيم . . . » .

(١٧٠) ملكتم فأسجحوا : مثل يضرب في العفو عند المقدرة ، ولفظه : « ملكتَ فأسجحْ » ، قاله ابن الأكوع في غزوة ذي قَرَد (بفتحتين) ، والإسجاح : التسهيل والرفق . ومعناه : ظفرت فأحسن ، وقدرت فسهل وأحسن العفو . ويقال : « إذا سألت فأسجح » ، أي : سهل ألفاظك وارفق . ـ والبَواء : السّواء ، وفلان بَواءُ فلانٍ : كفؤه إن قُتِل به ، والتكافؤ ، يقال : ما فلان ببَواء فلان ، أي ما هو بكفءٍ له . ودم فلان بَواء لدم فلان: إذا كان كفأً له ، قالت ليلى الأخيلية في مقتل توبة بن الحُمَيّر :

فإن تكن القتلى بَواءً ، فإنكــم فتىً مّا قتلتم ، آلَ عوف بن عامر

أنشده أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري في شرح المفضليات ، وابن منظور في لسان العرب ، والزبيدي في تاج العروس .

فإنْ تقتُلُوني ، تقتُلُوا بِيَ سيّداً .
وإنْ تُطْلِقُونِي ، تَحْرُبُونِي بماليا [171]

أَحقّاً ، عِبادَ اللهِ ، أَنْ لستُ سامعاً
نَشِيدَ الرِّعاءِ المُعْزِبِينَ المَتالِيا ؟ [172]

وتضحَكُ مِنّي شَيْخةٌ عَبْشَمِيّةٌ
كَأَنْ لم تَرَيْ قبلي أسِيراً يَمانِيا ! [173]

وهي قصيدة طويلة [174] ، لا غَرَضَ لنا في نقلها .

---

(١٧١) حَرَبه يحرُبُه حَرَباً ، مثل : طَلَبَه يطلُبُه طلباً : أخذ ماله ، وتركه لا شيْ له ، وهو محروب وحَرِيب من قوم ٍ حَرْبَى وحُرَباء .

(١٧٢) الرِعاء : الرُّعاة ، جمع راعٍ ، وفي التنزيل العزيز : (حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ وأبونا شيخ كبير) . — والمُعْزِب : المتنحي بإبله . — والمَتالي : التي قد نُتِج بعضها وبقي بعض ، الواحدة مُتلية ، قاله أبو محمد الأنباري . وفي لسان العرب : « ناقة مُتْلٍ ومُتْلية ، يتلوها ولدها ، أي يتبعها . والمتلية والمُتْلِي : التي تُنتَجُ في آخر النِّتاج ، لأنها تَبَع للمبكِّرة . وقيل : المتلية المؤخرة للانتاج ، وهو من ذلك ، والمُتْلي : التي يتبعها ولدها . . » .

(١٧٣) عبشمية : نسبة إلى عبد شمس ، وهم بطن من قريش . وقد نُحِت على وجوه متعددة ذكرتْها المعاجم الكبار . — لم تَرَيْ : في لسان العرب (ش/ م/ س) : « لم تَرَ » ، والمعروف في رواية البيت : لم تَرَأْ » بسكون الهمزة في آخر الفعل ، جعلوا الهمزة بدلاً من الياء ، و « لم تَرَيْ » بحذف النون علامة الجزم ، فيكون في الكلام التفات، وحصر الأنباري بها الرواية . وقد جاء في خبر أسر الشاعر : أن آسره — وكان أهوج — انطلق به الى أهله ، فقالت أمه لعبد يغوث — ورأته عظيماً جميلاً : من أنت ؟ قال : أنا سيد القوم . فضحكت، وقالت : قبحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الأهوج ! فعن ذلك قول عبد يغوث : « وتضحك مني » .

(١٧٤) القصيدة في النقائض ١٥٣ ، وشرح المفضليات ٣١٥ — ٣٢٠ ، والأغاني =

ومعنى قوله : « أَقول ، وقد شَدّوا . . . » ، مختلَفٌ فيه . وفيه قولان :

الأوّل أنّ هذا مَثَلٌ . وذهب إليه شُرّاح أبيات الشّعراء ، و(القالي)(١٧٥) في(أماليه) (١٧٦) . وحكاه (ابن الأنباريّ) (١٧٧) في (شرح المُفَضَّليّات) ،

---

١٦ / ٢٢٢ ــ ٣٣٥ ، وخزانة البغدادي ١ / ٣١٦ ، وأمالي القالي ٣ / ١٣٢ ، وشرح شواهد الشافية ٤٠٠ ــ ٤٠١ ، وتاريخ ابن الأثير ١ / ٢٢٨ ط : بولاق ، و ١ / ٦٢٥ ط : بيروت ، والعقد ٥ / ٢٢٩ ــ ٢٣٠ ، وبعضها في البيان والتبيين ٢ / ٢٦٧ و ٤ / ٤٥ .

(١٧٥) إسماعيل بن القاسم بن عيذون ، أبو عليّ ، القاليّ ، البغدادي : أديب لغوي مشهور ، ولد سنة ٢٨٨ هـ في « منازجرد » على الفرات الشرقي بقرب بحيرة وان ، ونسب إلى « قاليقلا » ــ مدينة بين طرابزون ومنازجرد ، لأن بعض أهلها صحبه الى بغداد ، فانتسب بانتسابه ، وتثقف ببغداد ، أقام بها خمساً وعشرين سنة . ثم رحل الى الأندلس في أيام عبدالرحمن الناصر الأموي ، فاستوطن قرطبة ، ولقبه الأندلسيون بالبغدادي لمجيئه اليهم من بغداد . وتوفي بقرطبة سنة ٣٥٦ هـ . ألف (البارع) من أوسع دواوين اللغة ، و (الأمالي) ، و (النوادر) ، و (المقصور والممدود والمهموز) ، و (الأمثال) . ومصادر ترجمته في إنباه الرواة ١ / ٢٠٤ ، والأعلام ١ / ٣١٩ .

(١٧٦) ج ٣ / ص ١٣٣ ، وفيها : « هذا مثل ، لأن اللسان لا يشدّ بنِسعة ، وإنما أراد : إفعلوا بي خيراً ، ينطلق لساني بشكركم . فان لم تفعلوا ، فلساني مشدود لا يقدر على مدحكم » .

(١٧٧) الأنباري ، وابن الأنباري : أب ، وابنه .. من أهل الأنبار بالعراق قرب بغداد . يلتبسان على الناس ، وكلاهما عالم بالأدب واللغة وعلوم القرآن والحديث ، وحفيّ بالأشعار والأخبار . أما (الأب) ، فهو القاسم بن محمد بن بشار الأنباري ، أبو محمد : سكن بغداد ، وتوفي سنة ٣٠٤ هـ . له (شرح المفضليات) و (شرح السبع الطوال) ، و (خلق الإنسان) ، و(الأمثال) .وأما (الابن) ،فهو =

وقال : « لِأنّ اللسان لا يُشَدُّ بِنِسْعَة ، بكسر النّون ، وهو سير منسوج ، وإنّما أراد : إفْعَلُوا بي خيراً ، لِيَنْطِقَ اساني بشكركم ؛ وإنّكم ما لم تفعَلُوا ، فلساني مشدود ، لا أَقْدِرُ على مدحكم »[178] .

والثّاني أنّهم شَدُّوه بِنِسْعَة حقيقةً . وإليه ذهب (الجاحظ)[179]

= محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري ، أبو بكر . نشأ في كنف أبيه ، وكان غاية في الحفظ والذكاء ، وإتقان التصنيف . وكان له مجلس في ركن من المسجد يرتاده طلاب العلم ، ولأبيه ركن آخر . وكان أفضل من أبيه وأعلم . توفي سنة ٣٢٨ هـ ، وله : (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات) ، و (ايضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجلّ) ، و (الزاهر في معاني كلام الناس) ، و (المذكر والمؤنث) ، وغيرها . أما (شرح المفضليات) فقد نسبه اليه بعض مترجميه ، وتابعهم عليه باحثان من المعاصرين . والصحيح أنه لأبيه ، وهو قد قرأه عليه ونقّحه . وقد طبعهُ في بيروت سنة ١٩٢٠م كارلوس يعقوب لايل(Lyall : M. A. Charles James) ، وجاء في أوله : « قال أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري : « أملى علينا عامر ابن عمران ، أبو بكر عكرمة الضبي ، هذه القصائد المختارة المنسوبة الى المفضل » ، وفي آخره (ص ٨٨٤) : « تمت القصائد المفضليات . وهذا آخر ماصنعه أبو محمد القاسم بن بشار الأنباري ، رحمه الله » .

(١٧٨) شرح المفضليات (ص ٣١٦) ، وأول النّصّ فيه : « هذا مثل ، والاسان لايشدّ بنسعة ، وإنما أراد : إفعلوا بي خيراً .. » .

(١٧٩) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء ، الليثي ، أبو عثمان : رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة . مولدهُ في البصرة سنة ١٦٣ هـ ، ووفاته فيها سنة ٢٥٥ هـ . لقب بالجاحظ لجحوض عينيه ، وكان مشوه الخلقة . ولكن حظه من العلم والذكاء غـاية في الوفرة . مات والكتاب على صـدره : قتلته مجلدات مـن الكتب وقعت عليه وهو مفلوج . وله المؤلفات الروائع ، وأشهرها (كتاب الحيوان) ، و (البيان والتبيين) ، و (الرسائل) ، وغيرها . ومصادر ترجمته في الأعلام ٥ / ٢٣٩ ، ط ٢ .

في (البيان والتّبيين) [١٨٠] ، و(الأصفهاني) [١٨١] في (الأغــاني) [١٨٢] .
وحكاه أيضاً (ابن الأنباريّ) [١٨٣] بأنّهم ربطــوه بنِسْعَة ، مخافةَ أن يهجوهم . وكانوا سمِعوه يُنشِد شعراً ، فقال : أَطْلِقوا لي عن لساني ، أذُمُّ أصحابي ، وأنوحُ على نفسي . فقالوا : إنّك شاعر ، ونخافُ أن تهجُوَنا ! فعاهدهم أن لا يهجوهم . فأطلقوا له عن لسانه .

---

(١٨٠) ج ٤/٤٥ .

(١٨١) هو عليّ بن الحسين بن محمد ، أبو الفرج ، المرواني الأموي القُرَشي ، جدُّهُ مروان بن محمد آخر خلفاء بني أُمية : من أعيان الأدباء ، وأفراد المصنفين . ولد سنة ٢٨٤ هـ بأَصْبَهان (أو أَصْفَهان) من بلاد فارس ، ونشأ ببغداد واستوطنها الى وفاته سنة ٣٥٦ هـ . روى عن عالم كثير يطول تعدادهم ، وألف في التاريخ والسير والمغازي والأنساب وأيام العرب والمقاتل ، والشعراء ، والشواعر ، والمغنين والقيان ، والخمارين والخمارات ، والديارات ، والنوادر . وأشهر كتبه (الأغاني) ــ٢١ جزءاً ــ لم يؤلف في بابه مثله .. جمعه في خمسين سنة ، وتصرف فيه بين الجد والهَزْل . ولذلك أعلن المحققون من أمثال أبي الفرج بن الجوزي وشــيخ الإسلام تقيّ الدين بن تيمية النكير عليه ، ونقل ابن شاكر عن شمس الدين الذهبي قال : « رأيت شيخنا تقي الدين بن تيمية يضعفه ، ويتهمه في نقله ، ويستهول ما يأتي به .. » . وله ترجمة ضافية في مفتتح الجزء الأول من الأغاني في (ط ــ دار الكتب المصرية) ، وفي كتب كثيرة ذكرت في : إنباه الرواة ٢/٢٥١ ، والأعلام ٥ / ٨٨ ، ط ٢ .

(١٨٢) الأغاني ١٦ / ٣٣٥ ، ط ــ دار الكتب المصرية . قال أبو الفرج في خبر أسر عبد يغوث : « وذلك أنه لما أسروه شدوا لسانه بنسعة ، لئلا يهجوهم ، وأبوا إلا قتله ، فقتلوه بالنعمان بن جساس » .

(١٨٣) شرح المفضليات ، ص ٣١٧ . وهذا نَقْل الأنباري في روايته خبر أسر عبد يغوث ، وليس برأيه ، ورأيه هو ما أسلفه المؤلف ، وشدُّ اللسان بنسعة ممتنع ولا ريب .

قال (الجاحظ) : « وبلغ من خوفهم من الهجاء أن يبقى ذكرهم في الأعقاب ، ويسبّ به الأحياء والأموات ، أنّهم إذا أَسَرُوا الشّاعر ، أخذوا عليه المواثيق ، وربما شَدُّوا لسانه بِنِسْعَة ، كما صَنَعُوا بِـ (عبد يَغُوثَ بن وَقّاص الحارثيّ) حين أَسَرَتْه (تَيْمٌ) يومَ الكُلاب »[184] .

❋ ★ ❋

ومن عقوباتهم (جَزُّ النّوَاصِي)[185] :

كانت العرب إذا أنعمت على الرّجل الشّريف المأسور[186] ، جَزُّوا ناصيته ، وأطلقوه ، فتكونُ النّاصية عندَ الرَّجل يفخَرُ بها .

---

(١٨٤) البيان والتبيين ٤/٤٥ ، وفيه : « ويبلغ من خوفهم من الهجاء ، ومن شدة السّبّ عليهم ، وتخوفهم أن يبقى ذكر ذلك في الأعقاب ... » . ثم ذكر الجاحظ قول عبد يغوث : « أقول ، وقد شدوا لساني بنسعة .. البيت » وأربعة أبيات بعده من قصيدته ، وقال معقباً : « وكان سألهم أن يطلقوا لسانه ، لينوح على نفسه ، ففعلوا . فكان ينوح بهذه الأبيات . فلما أنشد قومه هذا الشعر ، قال قيس : « لَبَّيْكَ وإن كنت أخزيتني » . وتصديق الجاحظ شد اللسان بنسعة ، غريب من مثله !

(١٨٥) النّواصي : جمع الناصية ، وهي الشعر في مقدم الرأس فوق الجبهة ، وأصلها عند العرب منبِته في مقدم الرأس ، وسمي الشعر ناصيةً لنباته من ذلك الموضع . وجَزُّها : قطعها ، يقال : جَزَّ الصوف والشعر والنخل والحشيش ، يَجُزُّه ، جَزّاً : قطعه ، ويقال في العنز والتيس : حلقتهما ، ولا يقال : جززتهما ، ومنه « الجِزّة » لِما يُجَزّ من صوف الغنم في كل سنة ، ويستعمل بعدَ ما جُزّ .

(١٨٦) قال المؤلف ، رحمه الله ، في « بلوغ الأرب » ١٦/٣ ، ط ٢ : « وربما جُزّت ناصية مُطْلَقِ الأسير : أشريفاً كان أم لا ، وأخذت للافتخار ، والعرب متفاوتون في ذلك » . وبهذا قال الأزهري كما سيرد في التعليق (١٩٢) .

ومن ذلك قول (الحُطَيْـأَة) [187]، من أبيات ناضَلَ بها عن (بَغِيض) [188].

(187) هو جَرْوَل بن أَوْس بن مالك العَبْسيّ ، أبو مليكة ، والحطيأة لقب غلب عليه لقِصَره وقربه من الأرض ، وله معنى آخر : شاعر مخضرم ، عاش في الجاهلية والإسلام ، وأسلم . تصرف في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب ، وأجاد في ذلك أجمع . وهجا الزبرقان بن بدر ، فاستعدى الزبرقان عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فسجنه في المدينة ، فاستعطفه بأبيات ، فأطلقه ، ونهاه عن هجاء الناس ، فقال : « إذن تموت عيالي جوعاً ! » ، وعاش الى نحو سنة ٤٥ هـ . وديوانه مشهور : شرحه ابن السكيت . والسُّكَّري ، والسجستاني ، وطبعه نعمان أمين طه في سنة ١٣٧٨ هـ ــ ١٣٥٨ م . وأخباره فيه،وفي الشعر والشعراء ٣٢٢ ، وطبقات الجمحي ٢٢٢١ والأغاني ٢/٤٥٧ ــ ٢٠٢ ط . دار الكتب المصرية ، وفوات الوفيات ١/٩٩ ، وشرح الشواهد ١٦٣ ، وخزانة الأدب للبغدادي ١/٤٠٨ ــ ٤١٢ ، والأصابة ٢/٦٢ ، والاشتقاق ١٧٠ .

(188) بغيض بن عامر بن شماس بن لأي بن أنف الناقة : من رؤساء بني تميم في الجاهلية ، أدرك الإسلام ، ولم يرد في شيء من طرق الروايات أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم . ترجمته في الإصابة ١/١٨٠ ، وفيها إشارة الى هذه القصة ، وهي مفصلة في الأغاني ٢/١٧٩ ــ ١٨٥ . وكان الحطيأة جاوَرَ الزِبرقان بن بدر ، فلم يحمد جواره ، فتحوّل عنه الى بغيض ، فأكرم جواره ، فقال يهجو الزبرقان ويمدح بغيضاً ويناضل عنه :

والله ما معشر لاموا امرءاً جُنُباً   في آل لأي بن شماس بأكياس
ما كان ذنب (بغيض) لا أبالكُمُ   في بائس جاء يحدو آخر الناس

الى آخر القصيدة . فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، وأنشده آخر الأبيات، وهو قوله :

دع المكارم ، لا ترحل لبِغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال له عمر رضي الله عنه : ما أعلمه هجاك ، أما ترضى أن تكون طاعماً كاسياً ؟! قال : إنه لا يكون في الهجاء أشدّ من هذا . ثم حكّم حسان بن ثابت ، فقال : لم يَهْجُهُ ، ولكن سلح عليه ! فسجنه عمر .

وهجا (الزِّبْرِقانَ) [١٨٩] :

قد ناضَلُوك ، فَسَلُّوا من كِنائِنِهِمْ
مجداً تَلِيداً ونَبْلاً غيرَ أَنْكاسِ [١٩٠]

النِّكْسُ [١٩١] ، بالكسر : السّهم يقلب ، فيجعل أسفله أعلاه إذا انكسر

---

(١٨٩) هو الحصين بن بدر بن امرئ القيس السعدي التميمي ، لقب بالزبرقان (وهو من أسماء القمر) لحسنه ، شُبِّه به : شاعر فصيح ، من أشراف قومه . أسلم ، وولاه النبي صلى الله عليه وسلم صدقات قومه ، وأقره أبو بكر الصديق بعد وفاته ثم عمر رضي الله عنهما . وكان بنو أنف الناقة — وهم بغيض وإخوته وأهله — ينازعونه الشرف ، إلا أنه قد كان استعلاهم بنفسه ، وكفى الحطيأة في سنة مجدبة أيام عمر رضي الله عنه ، فجاوره وأحسن اليه . فاغتنم بنو أنف الناقة ذلك ، وأفسدوا ما بين الزبرقان والحطيأة ، فتحول عنه اليهم . وكُفَّ بصر الزبرقان في آخر عمره ، وتوفي في زمن معاوية رضي الله عنه . وذكر ابن حزم في جمهرة الأنساب (ص ٢٠٨) أن للزبرقان عقباً بـ (طلبيرة) في (الأندلس) لهم بها قدم ، وكانوا أول نزولهم بالأندلس نزلوا بقرية ضخمة تسمى (الزبارقة) نسبة اليهم ، ثم غلب الإفرنج عليها ، فانتقلوا الى طلبيرة . وترجمته في الأغاني : ١٧٩/٢ — ١٨٤ ، والإصابة ٥٤٣/١ ، وخزانة الأدب للبغدادي ٥٣١/١ ، وطبقات الجمحي ٤٧ ، وغيرها .

(١٩٠) البيت من قصيدة له ، عدتها ١٧ بيتاً في ديوانه (ص ٢٨٣ — ٢٨٤) ، وذُكر منها في الأغاني (٢ / ١٨٤ — ١٨٥) ١٢ بيتاً . — والكنائن : جمع الكِنانة (بكسر الكاف) ، وهي جَعْبَة السهام تتخذ من جلود ، واذا كانت من خشب فهي جَفير . وبقية الألفاظ مفسرة في البحث .

(١٩١) النِكس ، واحد الأنكاس ، قال أبو عبيدة : النكس يكون في السيف والرمح والولد إذا ولد منكوساً ، وهو اليَتَنُ ، وهو ضعيف أبداً ، وهذا كله لا خير فيه . وقال غيره : النكس الدنيْ المقصر ، وأن أصل ذلك في السهام ، وذلك أن السهم إذا ارتدع ، أو نالته آفة ، نُكِس في الكنانة ، ليعرف من غيره .

طَرَفُه . والمُناضلة : المفاخرة . وأراد بالمجد التّليد [١٩٢] ، النّوَاصِيَ الّتي جزّها من أشراف العرب الأُسَرَاء .

وقال (بِشْر [١٩٣] بن أبي خازم الأَسَديّ) من أبيات [١٩٤] :

(١٩٢) التليد : القديم ، أراد أنهم فاخروه ، فرجحوا عليه بآبائهم وأجدادهم . وقالوا أيضاً : عنى بالمجد التليد النواصي ، وكانت العرب إذا أنعمت على الرجل الشريف يأسرونه ، جزوا ناصيته وأطلقوه ، فتكون الناصية عند الرجل يفخر بها ، قال بِشر :

رأتني كأفحوص القطاة ذؤابتي وما مَسّها من منعم يستقيدها

أي : صَلَعَتُ ، ولم يكن ذلك عن جز ناصيتي . وأطلق الأزهري القول في جز نواصي الأسرى ، ولم يخصه بالشرفاء ، قال : معنى البيت أن العرب كانوا إذا أسروا أسيراً خيروه بين التخلية وجز الناصية والأسر . فإن اختار جز الناصية ، جزوها وخلوا سبيله ، ثم جعلوا ذلك الشعر في كنائنهم ، فاذا افتخروا ، أخرجوه وأروهم مفاخرهم .

(١٩٣) بشر بن أبي خازم عَمْرو بن عوف ، أبو نوفل : شاعر جاهلي فحل قديم ، من بني أسد بن خزيمة . ، مات في نحو سنة ٩٢ قبل الهجرة . له ديوان حققه د . عزة حسن ، ونشرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية سنة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م . وترجمة بشر في : الشعر والشعراء ٢٧٠ ، وأمالي المرتضى ٢ / ١١٤ ، وخزانة الأدب للبغدادي ٢ / ٢٦١ ـ ٢٦٤ ، وسمط اللآلي « تنظر فهارسه » ، ومختارات ابن الشجري ٢ـ١٩ ـ ٢٣ ، وله قصائد في منتهى الطلب ١/ ١٥٠ ـ ١٦١ ، وترجم له أحمد محمد شاكر في المفضليات ٩٦ ، و : د . عزة حسن في مقدمة ديوانه .

(١٩٤) البيتان من قصيدة ، عدتها عشرون بيتاً في ديوان الشاعر ، و ١٨ بيتاً في شرح المفضليات ـ هجا بها أوس بن حارثة بن لأم الطائي . وقد كان بشر في أول أمره يهجوه ، فأسرته بنو نبهان من طيّء ، فركب أوس اليهم ، فاستوهبه منهم ، وكان قد نذر ليحرقنّه إن قدر عليه ، فوهبوه له . فقالت له أمه سعدى : قبح الله رأيك ! أكرمِ الرجل وخلّ عنه ، فانه لا يمحو ما قال غير لسانه . ففعل أوس . فجعل بشر مكان كل قصيدة هجاء قصيدةَ مدح .

وإذْ جُزَّتْ نَوَاصي (آلِ بَدْرٍ) ،
فأدَّوْها ، وأسْرَى في الوِثاقِ (١٩٥)

وإلّا ، فاعْلَمُوا أنّا وأنتـــم
بُغاةٌ ما بَقِينا في شِـــقاقِ (١٩٦)

وسبب هذا الشِّعر : أنّ قوماً من (آل بدر الفَزَارِيّين) جاوروا (بني لأْم)(١٩٧) من (طَيِّءٍ) ، فعَمَدَ (بنو لأْم) الى (الفَزَارِيّين) ، فجزُّوا نَوَاصِيَهم ، وقالوا : قد مَنَنّا عليكم ، ولم نقتلكم . و (بنو فَزَارة) حلفاء (بني أسد) . فغضب (بنو فَزَارة) لأجل ما صُنِع بـِ (البدريّين) ، فقال (بِشْر) هذه القصيـــدةَ : يذكر فيها ما صَنَع

(١٩٥) وإذْ : رواية الديوان « فإذْ » . — وآل بدر : هم بنو بدر ، من فَزَارة ، وهم يُعَدُّون بيت فَزَارة ، بل بيت قيس كلها ، فقد اتفق العلماء في مجلس عبدالملك على خمسة بيوت : بيت معاوية الأكرمين في كِنْدَة ، وبيت بني جُشَم بن بكر في تغلب ، وبيت ذي الجدين في بكر ، وبيت زرارة بن عدس في تميم ، وبيت بني بدر في قيس — كما في العقد ٣ / ٣٣١ . وكان بين بني أسد : قومِ بشر وبين غَطَفان حلف ، وفَزَارةُ من غَطَفان ، فلذلك نصرهـــم بشر . . وكان بنو بدر بين الذين أغروا بِشراً بهجاء أوس بن حارثة .

(١٩٦) بغاة : متعادون يبغي بعضنا على بعض ، جمع باغٍ ، وهو في الأصل الظالم الذي يتجاوز الحد . — ما بقينا : في رواية ثانية « ما حيينا » ، و« ما » : مصدرية ظرفية ، أي : مدة بقائنا ، أو حياتنا .

(١٩٧) بنو لأْم : بطن من القحطانية ، وهم : بنو لأم بن عمرو بن طريف ، وينتهي نسبهم الى طيّء . كانت منازلهم في المدينة . . . ، وكانوا ينزلون في أكثر أوقاتهم مدينة يثرب ، وفي العبر : كانت منازلهـم باليمن ، وهـذا فيما يظهر هو الأصل . وسكن بنو لأم وبنو طرف (الأحواز) منذ زمن بعيـــد ، ولا يزالون هناك ، وتنطق (لام) مسهلة الهمزة ، وطُرُف بضمتين ، وهو تحريف طريف جدّ لأْم .

بِـ (بني بدر) ، ويقول (للطّائِيّين) : فإذْ قد جَزَزْتُم نَواصِيَهم فاحْمِلُوها إلينا ، وأَطلِقوا مَنْ قد أَسَرْتم منهم . وإنْ لم تفعَلُوا ، فاعلَمُوا أَنّا نبغيكم ونطْلُبُكم . فإنْ أصَبْنا أحداً منكم ، طلبتمونا به ، فصار كلّ واحد منّا يبغي صاحبه ، فنبقى في شقاق وعداوة أبداً [198] .

(انتهى)

---

(١٩٨) وممن افتخر بجزّ نواصي الفرسان، الخنساء : تماضر بنت الشريد السُّلَمِيّة ، وذلك قولها ، وقد ذكره المؤلف في بلوغ الأرب ٣/١٦ ، ط٢ :

جَـزَزنا نواصيَ فرسانهم ... وكانوا يظنون أن لا تُجَزّا

ومن ظَنّ ممن يُلاقي الحروبَ ... بأن لا يصابَ ، فقد ظن عجزا

أي : ظن ظناً باطلاً ، وسمته عجزاً تجوُّزاً .

وكثر ورود ذكر « المن » على الأسرى باطلاقهم في شعر العرب ، ففي يوم خَوّ أسر عمرو بن كلثوم حذيفة بن بدر ، ثم جَزّ ناصيته ، ورده الى قومه ، وقال في ذلك (كما في : الأنوار ومحاسن الأ شعار ـ ٧٧) :

وإنـي بالذنائب يومَ خَوٍّ ... مننتُ على حذيفة بعد أسْرِ

ومن ذلك قول بعض نسائهم الشواعر ، وقد أسرت يوم الكثيب (الأنوار ـ١٠٧) :

ولقد تركت الكبش منهم مُقْصَدَاً ... أُمْنُنْ علينا واتّخِذْ فينا يدا

المُقْصَدُ : المقتول .

وفي أخبار نبيه في الأغاني (١٧ / ٢٨٦ ، ط . دار الكتب المصرية) قوله في الافتخار بالمنّ على الأسرى :

فَسَلِي بمكّةَ تُخْبَري ... أنّـا من اهْلِ وفائهـا

قدماً ، وأفضلُ أهلـها ... مَنّـاً عـلى أكفائهـا

وقد ضبط محققه الأستاذ محمد علي البجاوي « مَنّاً » بكسر الميم « مِنّا » ، على أنه جارٌ ومجرور ، فأفسد بذلك معنى البيت ، وحوّله عن قصد الشاعر . وجاز ذلك على مُراجِعِه : الأستاذ محمد أبي الفضل إبراهيم، فلم يقوّمه ، ولله وحده الكمال . هذا ، وقد يكون « المنّ » بمعنى الإنعام بالعطاء أيضاً . وبإنعام الله جلّ إحسانه تتمّ الصالحات .

بغداد ١٢ / ٣ / ١٤٠٣ هـ .

بهجة الأثري

الجزء الثاني   المجلد الخامس والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي



رجب ١٤٠٤ هـ
نيسان ١٩٨٤ م

الفهرس

